16 em Année No. 801

Lundi — 8 — 11 — 1948

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٨٠١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ محرم سنة ١٣٦٨ — ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أسرة طيبة

كنا فى سنة ١٩٢٠ نسكن حى غمرة فى شمال القاهرة ؛ وكان يسا كننا فى العمارة التى نحن فيها أسر مختلفة الجنس والدين والطبقة تعيش كل أسرة منها فى انعزال عن الأخرى فلا يتلاقى الجيران إلا على السلم أو لدى الباب . وربما لقى الجار جاره فى بعض الطريق فلا يعرفه ، إلا إذا كان ممن يعلق شخصه بالذهن لسمة تميزه من سائر الناس كحسن يفترق البصر ، أو قبح يسترعى النظر ، أو شذوذ يشغل البال ... من هؤلاء الذين يدخلون فى هـذا الاستثناء المعلم فهمى رزق أستاذ الدروس الخصوصية فى حى (الظاهر) ، ومدرس الدين والعربية فى مدرسة (التوفيق) ، فلا تجد أحداً من سكان العمارة ولا من قطان الحى ينكره إذا رآه ، أو لا يذكره إذا عرفه ! كان يسكن الشقة المقابلة لشقتنا ، وكانت هذه الشقة لا تفتح فى اليوم كله إلا أربع مرات : مرتين حين يغدو هو وأخوه الأصغر فى الصباح ، ومرتين حين يروحان فى المساء ، ثم لا يدرى غير الله أتغلق بعدهما على أم أو زوج أو أخت أو خادم . لا يستطيع بشر أن يعرف ذلك ، لا بالعين لأنه لا يرى إنساناً فى نافذة ، ولا بالأذن لأنه لا يسمع صوتاً فى غرفة . أما الشذوذ الذى يغرى به الطرف ويجمع له البال فهو فى شكله العجيب : كان مفرط القصر واسع البطن دقيق الأطراف أوقص العنق مخروط الوجه أخوص العين أكزم الأنف أهرت الشدقين غليظ الشارب والحاجبين . ومالى أطيل عليك الوصف ، وأنت تستطيع أن تخفف مؤونته على قلمى إذا تصورت كرة أرضية من الخشب أو من غيره قطرها متران ، وُضع فوق قطبها الأعلى وجه عليه طربوش ، وتحت قطبها الأسفل قدمان فيهما حذاء ، ثم تدلى من الجانب الأيمن ذراع قصيرة فى آخرها مذبة عاج ، ومن الجانب الأيسر ذراع أخرى فى طرفها جريدة (الوطن) ، ثم اكتسى الظهر والذراعان جاكتة كحلاء ، واكتسى البطن والساقان بنطلوناً أبيض ؛ فإذا تخيلت بعد ذلك هـذه الكرة تمشى فتدب فى البطء دبيب السلحفاة ، وتخطو فى السرعة خطو الأوزة ، اجتمعت فى ذهنك صورة مقاربة للمعلم فهمى حينما رأيته لأول مرة يتدحرج هابطاً فى السلم ؛ وكان قد علم من قبل أن جاره مدرس الأدب فى الإعدادية الثانوية ، وناقل آلام فرتر هـذا العام إلى العربية ، فلما أبصرنى صاعداً حيَّانى وعرَّفنى بنفسه ، ثم سألنى أن يجلس إلىّ فى القهوة قليلا ليعرض علىّ مسائل فى الإعراب له فيها رأى . فقلت له : ولماذا نجلس فى القهوة وبين بيتى وبيتك خطوتان إذا شئت خطوتهما إليك فى أى وقت تحدده . فقال : أفضل أن أزورك فى عشية الغد .

وفى الجلسة الأولى جرى بينى وبينه حديث فى السياسة ونقاش فى النحو تبينت من خلالها أن الرجل طيب القلب ، وآفة الطيبة أنها تصاب أحياناً بالغفلة فتوقع صاحبها فى الزهو وتورطه فى الدعوى ؛ فهو يفخر بأنه خطأ قول الشنقيطى فى

اللغة ، وزيّف رأى اليازجي في النقد ؟ ويدعى أن مصطفى كامل كان يستشيره في خطبه قبل أن تلقى ؛ وأن سعد باشا كان يسترشده في بياناته قبل أن تنشر .

وفي الجلسات الأخر علمت أن الرجل لم يتم التعليم الابتدائي ، وأنه بحث عن مرتزق لا يضر فيه الجهل فلم يجد غير التعليم والصحافة ، فاختار التعليم في المدارس الابتدائية ، وتخصص في تدريس اللغة العربية ، فكان يعلمها مشاهرة في المدرسة بجنيه ، وفي البيت بريال . ومن هذا المال اليسير ينفق على كسوته وقهوته وتبغه ، ثم يعتمد فيما جاوز ذلك على مرتب أخيه ، وهو موظف بالابتدائية في وزارة المالية ، وعلى تدبير أخته ، وهي تخيط في بيتها لبعض البيوت التجارية . وهو وهذا الأخ وهذه الأخت ، هم الأقانيم الثلاثة التي تتألف منها هذه الأسرة المسيحية الطيبة ؛ ففهمي هو الأب ، وشحاته هو الابن ، وعايدة هي روح القدس ! ثلاثة أرباب وثلاثة عبيد ، كل منهم لأخويه إله بالاحترام وعبد بالحب . وثلاثتهم يعيشون على الإيثار والتضحية ؛ فالأخ الكبير قد نيف على الأربعين ولا يريد أن يتزوّج لأن أخته لا تزال آنسة ! والأخ الصغير قد أربى على الخامسة والثلاثين ولا يبغى الزواج لأن أخاه لا يزال عزباً ، والأخت قد هدفت للسادسة والعشرين ، وهي تدفع الخطاب عن يدها لأنها لا تحب أن تترك أخويها عزبين .

وكل أخ يؤثر أخويه على نفسه ؛ فالمعلم فهمي يحنو على عايدة وشحاته حنو الوالد الحدب : يقوم عنهما بشؤون البيت مع الناس ، ويجلب لهما حاجة المطبخ من السوق ، ويقبل مُكرهاً أن يخصه أخواه ببعض المال لأنه بكر الأبوين ومظهر الأسرة

وشحاته افندى يؤدى مرتبه أول كل شهر إلى أخته فلا يأخذ منه إلا شهرية الحلاق . وماذا يصنع بالنقود ؟ إنه لا يركب الترام ، لأن له قدمين قويتين تحملانه إلى الديوان ثم إلى البيت ، وإنه لا يشترى الطعام ، لأنه يأخذ فطوره معه كل صباح : رغيفاً في منديل ، وطعمية في علبة ، أو ملوخية في قارورة ... فإذا رجع من عمله ، تولى كنس الغرف ونفض الأثاث وغسل الآنية . ثم يجلس بعد ذلك إلى أخته فيدير لها آلة الخياطة ، أو يرفه عنها بأحاديث المدينة ، أو يذهب إلى التجار بالمخيط ليعود من عندهم بالقماش .

أما الآنسة عايدة فتُشبل على العزَبين إشبال الأم العطوف : تدبر لهما المنزل ، فتطهى وتغسل وتكوى ؛ وتدبر منهما الجسم ، فتقي وتُعالج وتمرّض ؛ ثم لا تكلفهما بعد لباس البيت إلا فستاناً بسيطاً كل عام تذهب به أيام الآحاد إلى القداس .

وكان مرض الواحد مرض الثلاثة ، إذا شكا أحدهم علة شكا الآخران ألمها معه . وقد حرص المعلم فهمي على أن يقيس حرارة أخويه إذا لحظ عليهما فتوراً أو سمع منهما شكوى . وفي ذات ليلة من ليالي الشتاء طرق عليّ الباب في أخريات الليل ، فانتبهت فزعاً وفتحت فإذا هو ينتفض انتفاض المحموم وينشج نشيج الطفل . فقلت له : خير يا صديق ، ما الذي يبكيك ؟ فقال : أختي في نزاع الروح ؛ وإن حرارتها ثلاث وأربعون درجة وقد بعثت أخي في طلب الطبيب القريب ؛ فلما أخبره أن حرارتها ثلاث وأربعون درجة أغلق الباب في وجهه وهو يصيح : اذهب يا مجنون إلى الحانوتي ولا تضع وقتك !

قال هذا المعلم فهمي وهو يجذب يدي حتى دخل بي غرفة المريضة ، فوجدتها راقدة على سريرها العالي ، لحافها دائر على خصرها ، ويداها مشبوكتان على صدرها ، ونفَسها يتردد هادئاً كنفَس الطفل ، ووجهها يشرق ندياً كوجه الصبح . وكان على مقربة من سريرها منضدة عليها مصباح كبير من طراز المصابيح التي كانت تضيء الصواوين في الأعراس والمآتم قبل أن تعم الكهرباء ، فلما وقفت إلى جانب سريرها جسست يدها ومسست جبينها وجدت حرارتها توشك أن تكون طبيعية ؛ ولكن أخاها أراني الميزان فوجدت زئبقه على الآخر . فنفضت الميزان ووضعته في فم المريضة المستسلمة ثم قرأته فإذا هو سبع وثلاثون درجة ونصف ! فلما نطقت بالرقم دبت الحياة في عايدة ففتحت عينيها ، وعاد الهدوء إلى فهمي فكف دمعه ، وأخذ شحاتة الدهش ففغر فاه ، وسرى النشاط من الغرفة إلى سائر البيت فقفزت من تحت الكنبة أرنب ، وقاقت من فوق المائدة دجاجة ، وتمطت من بين الفراش هرة . ولكن المعلم فهمي أراد أن يتأكد مما قلت ، فأخذ الميزان وأدناه من المصباح لضعف بصره ، ثم أخذ يقلبه وينظر ، ثم يقلبه وينظر ، حتى مضى على الميزان دقيقتان بجانب المصباح المشتعل ، ثم اهتدى أخيراً إلى الزئبق الصاعد فإذا هو في آخر الطرف الأعلى من الميزان . فقال وهو يرتجف : أنظر ! ها هي الدرجة ثلاثاً وأربعين ! فقلت له وأنا أبتسم ابتسامة عريضة : هذه يا صديق درجة المصباح لا درجة المريضة !

(للحديث بقية) احمد حسن الزيات

الخلاف على القنبلة الذرية

للأســــتاذ عمر حليق

قنبلتان ألقتهما طائرتان يقودهما نفر من الطيارين الأمريكان على جزر اليابان فقتل ١١٥ ألف شخص وأصيب ١١٠ آلاف آخرون بجراح مختلفة، وزالت من الوجود معالم مدينتين كانتا تمجان بالحياة. وأصبحت كارثة هاتين المدينتين اليابانيتين (ناكي ساكي) و (هيروشيما) علما على البعبع الذرى الذى يهدد الحضارة والإنسانية.

لم يكن وزن هاتين القنبلتين يزيد على بضعة أرطال، ولكنهما كانتا مشحونتين بقوى متفجرة تعادل ٤٠ ألف طن من أشد الديناميت والبارود تفجراً، وتحتاج إلى عشرة آلاف طائرة ضخمة لتنقل هذه الأطنان وتلقى بها على هاتين المدينتين.

هذا تقدير للفظاعة الكامنة فى القنبلة الذرية — التى حاولت هيئة الأمم المتحدة معالجتها خلال السنوات الثلاث الماضية فلم تفلح حتى الآن.

إن مراقبة الطاقة الذرية على نطاق دولى مشكلة لا تعطيها الصحافة العالمية وألسنة الرأى العام الدولى ما تستحقه فعلا من أهمية ودراسة، خصوصاً وإن الروس والأمريكان وحلفاءهم قد اختلفوا اختلافاً شديداً لخطورة هذه المراقبة، ولخطورة الطاقة الذرية وما تنتجه من قنابل ومهلكات جهنمية. وسبب هذا الاختلاف لا يعود إلى عجز فى التقدير، ولكن لأن المصالح الشخصية للدول الكبرى قد طغت على مصلحة الإنسانية والحضارة وصدت مندوبى الدول الكبرى وصناع السياسة فيها عن تضحية منفعتهم الفردية العاجلة المؤقتة فى سبيل الحضارة والمدنية التى تهددها الطاقة الذرية وأسلحتها الجهنمية بالمحق والإبادة.

وقد أحال مجلس الأمن الدولى قضية مراقبة الإنتاج الذرى على الجمعية العمومية فى دورتها الثالثة الحالية بباريس وأردف هذه الإحالة بتوصية فحواها أن هذه القضية تحتاج إلى اهتمام خاص ومزيد من الجهد والعناية والرغبة فى التعاون والإخلاص وحسن النية.

ومن سخرية القدر فى شؤون الطاقة الذرية أن اختلاف الدول الكبرى على مراقبة الإنتاج الذرى قد حال بين الإنسانية وبين أن تستفيد إفادة لا حد لها من هذه الطاقة الهائلة التى لولا القيود على إنتاجها لاستطاعت الآن أن توجِّه توجيهاً فيه خدمة للصناعة السلمية وما يلحق بها من نواحى الحضارة والتقدم الآلى والفنى فى عالم يعانى أزمة فى الغذاء والمواصلات وتزايد السكان ومشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة. فإن الطاقة الذرية إذا أنتجت لمنفعة الصناعة السلمية ستحل مشاكل الوقود من البترول والكهرباء والفحم الحجرى وهى مواد يشتد التنافس الدولى عليها وتدفع إلى الحروب وتمانى الشعوب الفقيرة الحرمان منها.

كان أول خطوة فى سبيل هذه المراقبة الدولية اجتماع تمهيدى عقدته حكومات بريطانيا وكندا والولايات المتحدة فى منتصف نوفمبر ١٩٤٥ فى مدينة واشنطون عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية. وقررت هذه الحكومات الثلاث فى ذلك الاجتماع بأن مصلحة السلم العلمى تتطلب مراقبة الإنتاج الذرى على نطاق دولى واسع وبالتعاون الوثيق بين حلفاء الغرب وروسيا السوفييتية وحلفائها. ثم كانت الخطوة الثانية فى شهر ديسمبر من عام ١٩٤٥ نفسه ولكن الاجتماع كان فى موسكو هذه المرة لمناسبة انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى. وأقر اجتماع موسكو نفس المبدأ الذى أقره اجتماع الحلفاء الأنجلوسكسون فى واشنطون فى اجتماعهم الأول. وقررت الدول الثلاث الكبرى (روسيا وبريطانيا وأمريكا) فى اجتماع موسكو هذا دعوة فرنسا والصين وكندا لوضع مشروع دولى لمراقبة الطاقة الذرية وتقديمه إلى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة فى دورتها الأولى بلندن فى مطلع عام ١٩٤٦. وقررت الجمعية العمومية فى تلك الدورة تأليف «لجنة الطاقات الذرية» لتحقيق مشروع مراقبة الإنتاج الذرى على نطاق دولى.

وهذه اللجنة مؤلفة من ١١ عضواً هم أعضاء مجلس الأمن الدولى مضافاً إليهم كندا، لأن كندا إحدى الدول الثلاث التى تملك سر القنبلة الذرية.

وأعطيت الصلاحية للجنة الطاقة الذرية هذه أن تضع مشروعات عملية لتحقيق المراقبة الدولية على جميع أنواع الإنتاج الذى تستعمل فيه الطاقة الذرية والتأكد من أن الدول التى

تستطيع الإنتاج الذرى لا تستعمله لبناء أسلحة ، بل لخدمة الصناعة السلمية والطب وما إلى ذلك من نواحى الحضارة والعمران ، وكانت اللجنة باتخاذ خطوات عملية لمساعدة هيئة الأمم المتحدة اتثبت من صرامة المراقبة الدولية ومفعوليتها بالتفتيش والاستقصاء وما إلى ذلك .

واجتمعت لجنة الطاقة الذرية هذه لأول مرة فى نيويورك فى صيف عام ١٩٤٦ ووضع أمامها اقتراحان لمراقبة الإنتاج الذرى أحدهما قدمته أمريكا وهو يشمل وجهة نظر الحلفاء ، والآخر قدمته روسيا السوفيانية . وقد مضى على اللجنة عامان كاملان دون أن تصل إلى الموافقة النهائية على أحد الاقتراحين ، وكان آخر أعمالها أن ألقت بهذين الاقتراحين فى أحضان الجمعية العمومية التى تجتمع بباريس أما فحوى الاقتراحين فهى كما يلى :

١ — الاقتراح الأمريكى يدعو إلى إنشاء سلطة دولية لتحسين الإنتاج الذرى ليخدم الصناعة السلمية والطب والمواصلات وما إلى ذلك . ويكون لهذه السلطة حق الإشراف على جميع وسائل الإنتاج الذرى فى جميع الدول ويكون لها الحق كذلك فى أن تمنع أى دولة من الدول من صنع المنتجات الذرية الفتاكة .

ولهذه السلطة الدولية أن تصل إلى فرض مراقبتها على خطوات إلى أن تستطيع نهائياً منع إنتاج القنابل الذرية منعاً باتاً وعلى نطاق دولى واسع . وقد نص الاقتراح الأمريكى على التخلص من القنابل الذرية الموجودة الآن فى حوزة بعض الدول الكبرى ، كما نص على أن حق النقض (الفيتو) الذى تتمتع به الدول الكبرى فى هيئة الأمم المتحدة يجب أن لا يطبق على الدول التى تخالف هذه السلطة الدولية لمراقبة الإنتاج الذرى . وبالإجمال فإن الاقتراح الأمريكى يدعو إلى التعاون الدولى لمراقبة التسلح الذرى على أسس عملية تتطلب حسن النية والرغبة فى خدمة السلام .

٢ — أما الاقتراح الروسى فهو يختلف اختلافاً جوهرياً عن الاقتراح الأمريكى فى جميع النقاط . وهو يدعو إلى تحطيم القنابل الذرية الموجودة فى حوزة حلفاء الغرب ، ومنع إنتاج الأسلحة الذرية من قنابل وغيرها منعاً باتاً ، ويدعو الاقتراح الروسى الأمم المتحدة لمؤتمر دولى يسن القوانين لمنع التسلح الذرى ويضع أسس المراقبة الدولية على نطاق عالمى . وأصر الروس على الاحتفاظ بحق الفيتو فيما يختص بشؤون الإنتاج الذرى .

ولم يوافق الروس على الرأى الأمريكى القائل بضرورة وضع جميع مشاريع الإنتاج الذرى التى تقوم بها الدول تحت سلطة عالية واحدة تسيطر على جميع وسائل الإنتاج وحدها وتمنع جميع الدول من العمل فى الإنتاج الذرى منفردين . ورأى الروس أن تظل حرية الإنتاج الذرى فى يد الدول ، ولكن يجب أن يأخذ عليها عهد بعدم استعماله للتسلح وصنع القنابل الجهنمية .

وظلت لجنة الطاقة الذرية تبحث هذين الاقتراحين الروسى والأمريكى سنتين ، وكانت نتيجة مراحل البحث أن وافقت أكثرية أعضاء اللجنة ومن بينها — سوريا — على الاقتراح الأمريكى ولم يصوت مع روسيا سوى حليفتها أكرانيا .

ويقول مناصرو الرأى الروسى أن الاقتراح الأمريكى لمراقبة التسلح الذرى وإنتاج الطاقة الذرية يرمى إلى جعل الولايات المتحدة صاحبة النفوذ الأعظم فى الإنتاج الذرى ، خصوصاً وأن أمريكا هى الدولة الوحيدة التى أتقنت صناعة هذا الإنتاج ، وأن رغبتها فى تقييده الآن يرجع إلى رغبتها فى منع الدول الأخرى عن بلوغ المستوى الذى بلغته هى فى التقدم الفنى والصناعى فى شؤون الطاقة الذرية . وينتقد أنصار الرأى الروسى الاقتراح الأمريكى أيضاً بأنه يشتمل على التدخل فى شؤون الدول المستقلة وهو اعتداء على سيادتها واستقلالها الداخلى .

ويجيب أنصار المشروع الأمريكى على ذلك قائلين أن أمريكا بموجب اقتراحها قد تنازلت عن حقوقها فى احتكار إنتاج الطاقة الذرية ووضعتها فى يد سلطة دولية تستطيع روسيا المشاركة فيها فى إخلاص وحسن نية . أما أن الاقتراح الأمريكى يتضمن التدخل فى شؤون الدول المستقلة ويعتدى على سيادتها فهو لا يتفق مع روح التعاون الدولى ، وأن أى مشروع يتطلب التعاون الدولى يجب أن يكلف الدول التنازل عن بعض حقوقها فى خدمة السلام والتعاون الدولى .

هذه بإيجاز مشكلة مراقبة الطاقة الذرية — وهى مشكلة خطيرة فى ظروف دولية تضع الشعوب على أهبة الاستعداد العسكرى ، وهى مشكلة مخيفة لعلها أهم المشاكل الدولية قاطبة .

وهى الآن معروضة على الجمعية العمومية بباريس . ترى هل تستطيع الثمانى والخمسون دولة المجتمعة هناك أن تحلها ؟

يقول الخبراء إن هذا مستحيل — لأن فى المشكلة نقاطا فنية وعسكرية لايحلها الجدل السياسى ، وليست الجمعية العمومية إلا برلماناً دولياً محصوله السياسة والجدل القانونى .

وأغلب الظن أن مشكلة الطاقة الذرية ستظل شوكة فى حلق هيئة الأمم — وستعاد إلى لجنة الطاقة الذرية لتبحث فيها من جديد لعلها تقنع الدول الكبرى المتنافسة بأن تتفق على حماية نفسها من ويل هذه الذرة الجهنمية .

(نيويورك) عمر حليق

سكرتير معهد الشؤون العربية الأمريكية بنيويورك

كتاب البرهان فى وجوه البيان

للدكتور على حسن عبـــد القادر

« تصحيح خطأ علمى ، وتحقيق شخصية كتاب ، ورد اعتبار على مؤلف طغى على اسمه الزمان »

كتاب « البرهان فى وجوه البيان » لأبى الحسين إسحق ابن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، طبع جزء منه قدر ثلثه باسم « نقد النثر » ، حرره وأخرجه الدكتور طه حسين ، والأستاذ عبد الحميد العبادى ، منسوباً إلى أبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى المتوفى سنة ٣٣٧ هـ . وقد اعتمد مخرجا « نقد النثر » على مخطوطة بمكتبة الأسكوريال رقم ٢٤٢ من فهرس درينبرغ .

وقد عثرنا على مخطوطة لهذا الكتاب بمكتبة تشستربيتى رقم G767 تحت عنوان « كتاب البرهان فى وجوه البيان » ، وعند المقابلة بينها وبين كتاب « نقد النثر » المطبوع وجدناهما يتفقان فى القدر المطبوع ، وتزيد المخطوطة التى بأيدينا على المطبوعة بمقدار ثلثى الكتاب تقريباً . ولم نشك فى أن هذا القدر الزائد إنما هو جزء أصلى من الكتاب قد سقط منه فى المخطوطة الأسكوريالية ، وذلك أن المؤلف قد بنى كتابه على أربعة وجوه للبيان : —

البيان الأول الاعتبار ، البيان الثانى الاعتقاد ، البيان الثالث العبارة ، البيان الرابع الكتاب . والبيان الرابع (الذى هو الكتاب) غير موجود فى النسخة المطبوعة ، وقد علل محقق هذه النسخة المبتورة هذا النقص بادعائه أن المؤلف قد ضمن الباب الثالث (وهو العبارة) الكلام على الوجه الرابع وهو الكتاب .

وجعل بهذه الدعوى الكتاب كاملا بذاته ، وهى دعوى قد فرضها المحقق على الكتاب فرضاً وجزم بها من غير فحص له ، فانه لو كان قد فحص الجزء الذى بيده من الكتاب لرأى أن المؤلف قد نبه فى أثناء الكتاب على أشياء سيذكرها بعد ، ومع ذلك لم يأت لها ذكر . فمن ذلك قول المؤلف (صفحة ١١٨ من طبعة دار الكتب) : « وأما الحديث ، فهو ما يجرى بين الناس فى مخاطبتهم ومناقلاتهم ومجالسهم ، وله وجوه كثيرة : فمنها الجد والهزل والسخف والجزل ، والحسن والقبيح والملحون والفصيح ، والخطأ والصواب والصدق والكذب والنافع والضار والحق والباطل والناقص والتام والمردود والمقبول والمهم والفضول والبليغ والعيي ؛ ثم جاء الكلام بعد ذلك عن الجد والهزل والسخيف والجزل والحسن والقبيح والملحون والفصيح والخطأ والصواب ، ولكن القول فى الخطأ والصواب لم يتم ، كما أن القول فى الصدق والكذب والوجوه الأخرى الباقية لم يأت قط . ومن أمثلة ذلك أيضاً ما جاء فى باب تأليف العبارة (ص٤٤ — ٤٥ من طبعة دار الكتب) : « وقد ذكر الخليل وغيره من أوزان الشعر وقوافيه ما يغنى من نظر فيها ... إلا أنا نذكر جملة من ذلك فى باب استخراج المعمى تدعو الضرورة إلى ذكرها فيه إن شاء الله » .

وليس فى نقد النثر كما نشر أى ذكر أو إشارة إلى باب المعمى وذكر العروض والقافية . ومن أمثلة ذلك أيضاً أنه جاء فى آخر النسخة المطبوعة هذه العبارة : « « وأما مراتب القول ومراتب المستمعين له ، فقد تقدم القول فيه وبالله التوفيق » .

وإذا تصفحنا كل ما جاء فى النسخة المطبوعة لم نجد ذكراً أو إشارة « لمراتب القول » ولا « لمراتب المستمعين له » على الحقيقة ؛ وبهذا يظهر أن المخطوطة الأسكوريالية والكتاب كما طبع ناقصان نقصاً كبيراً ، وأن محقق الكتاب لم ينتبه إلى هذا النقص الواضح أو لعله أغمض عينيه عن هذا النقص ، وتلمس فى بعض الأحيان تعللات لا تقوم وفرضها على الكتاب ، بدليل أننا نجد كل هذا المفقود قد جاء بالنسخة المخطوطة التى بأيدينا ، فقد جاء فيها ذكر البيان الرابع وهو الكتاب ، واستغرق من أصل الكتاب جزءاً كبيراً أصلياً ، كما جاء فيها الكلام على باب المعمى وذكر العروض والقافية بتفصيل كامل واف . وكذلك جاء فيها ما بقى من وجوه الحديث وجهاً وجهاً ، وكذلك مراتب القول ومراتب المستمعين له مرتبة مرتبة ، فكانت مخطوطتنا بهذا التحقيق هى النسخة الكاملة للكتاب . ويظهر أن مخطوطة الأسكوريال كانت ناقصة أو نسخت من أخرى ناقصة فزاد كاتبها ما يشعر بالتمام وهو قوله .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

« وقد تقدم القول فيه وبالله التوفيق » ، وهى عادة معروفة عند الوراقين كما حصل مثل ذلك فى كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى مثلا .

وأهمية مخطوطتنا لا تنحصر فى أنها النص الكامل للكتاب كما كتبه مؤلفه (أى أكثر من ضعف النص المطبوع) ، بل إن لها أهمية أخرى أكبر من ذلك ، وهى معرفة مؤلف هذا الكتاب على التحقيق . فقد ذكر المؤلف فى مخطوطتنا اسمه كاملا فى أثناء كتابه على عادة المؤلفين المتقدمين ، فقال فى أول البيان الرابع ، وهو جزء مفقود من النسخة الأسكوريالية : « قال أبو الحسين إسحق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا بنعمة الله ... » . وهو تصريح يبطل نسبة الكتاب إلى قدامة بن جعفر ، ويضع حداً فاصلا للنزاع فى مسألة مؤلف الكتاب ، كما أن مخطوطتنا زيادة على هذا تحمل الاسم الصحيح للكتاب ، وهو كتاب « البرهان فى وجوه البيان » .

وإنه وإن كنا لم نعثر على اسم هذا الكتاب ، أو اسم مؤلفه مذكوراً فى أى مرجع من المراجع المعروفة عندنا ، فقد وصلنا إلى أن هذا الكتاب ليس لقدامة وتحققنا من نسبته لأبى الحسين ، وليس ذلك فقط من أجل أن المؤلف قد ذكر اسمه فى أثناء كتابه بل من أجل أدلة أخرى مضمومة إلى هذا الدليل :

أولا : يذكر مؤلف الكتاب فى أثناء كتابه أربعة كتب له ، وهى : الإيضاح ، أسرار القرآن ، التعبد ، الحجة . وهذه الكتب الأربعة لم يذكرها أحد من مؤرخى قدامة فى فهرس كتبه أو ما يشبهها فى الاسم أو الموضوع ، كما أنهم لم يذكروا له كتاباً باسم « البرهان » أو « نقد النثر » .

ثانياً : وقد نسب إلى قدامة كتاب فى الكتابة ، ولكن هذا الكتاب لم يسمه قدامة باسم « البرهان » أو « نقد النثر » وإنما سماه « كتاب الخراج وصناعة الكتابة » ، وهو غير الكتاب الذى بأيدينا ، فإن كتاب قدامة هذا ، أو على الأصح النصف الثانى منه معروف ، وتوجد مخطوطة منه بمكتبة كوبرلى بالآستانة ، وقد استنسخ شارل شيفر هذا المجلد الباقى من كتاب قدامة ، وهذه النسخة محفوظة الآن بدار الكتب الوطنية بباريس وقد استخرج دى غويه نبذا منها وطبعها تحت عنوان « كتاب الخراج » ، وهذه النبذ هى الأبواب الثانى والثالث والرابع والخامس والحادى عشر من المنزلة الخامسة ، والبابان السادس والسابع من المنزلة السادسة . واسم هذا الكتاب فى هاتين النسختين (الأصلية والمنقولة) « الخراج وصناعة الكتابة » ، وقد وصف ياقوت هذا الكتاب فى ترجمة قدامة بقوله : « وله كتاب فى الخراج وصناعة الكتابة » ؛ وله كتاب فى الخراج رتبه مراتب وأتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب إليه ، وكان على تسع منازل ، وكان ثمانية فأضاف إليه تاسعاً » . ويقول المطرزى فى كتاب الإيضاح شرح مقامات الحريرى (مخطوطة المتحف البريطانى) « وله تصانيف كثيرة منها كتاب « الألفاظ » وكتاب « نقد الشعر » ، وهو حسن للغاية طالعته ونقلت منه أشياء ، وقيل هو لوالده جعفر . ومنها كتاب صناعة الكتابة ظفرت به وعثرت فيه على ضوال منشودة ، وهو كتاب يشتمل على سبع منازل ، وكل منزلة منها تحتوى على أبواب مختلفة ضمنها خصائص الكتاب والبلغاء » . وقال ابن الجوزى فى المنتظم فى حوادث سنة ٣٣٧ بمناسبة موت قدامة ما نصه : « وله كتاب حسن فى الخراج وصناعة الكتابة » .

ويتضح من كل ذلك أنه كان لقدامة كتاب على منوال كتابنا ، وأن هذا الكتاب يسمى « الخراج وصناعة الكتابة » وأنه كان على تسع منازل أو سبع منازل وفى كل منزلة أبواب . وهذا الوصف لا يتفق مع تبويب كتاب « البرهان » أو « نقد النثر » إذ أنه على أربعة أبواب تناولت كل ما قصد المؤلف كتابته عن الخراج وصناعة الكتابة ؛ وفضلا عن هذا فنحن إذا قارنا الجزء المطبوع من كتاب قدامة الخاص بالخراج ألفيناه مختلفاً عن القسم الخاص بالخراج فى كتابنا « البرهان » والنتيجة البديهية هى أن قدامة وأبا الحسين كتب كل منهما كتاباً فى الموضوع ولكن كلا منهما سلك مسلكه الخاص فى علاج الموضوع .

ثالثا — وقد رجح دى غويه فى مقدمته الفرنسية لكتاب الخراج المستخرج من كتاب قدامة فى صناعة الكتابة أن قدامة ألف كتابه هذا بعد سنة ٣١٦ بقليل ، وذلك أن قدامة تحدث فى أثناء كتابه عن مليح الأرمنى على أنه معاصر له ، ويشير أيضا إلى إغارة أسفار الديلمى على قزوين فى سنة ٣١٦ ، وإلى الشنائع التى جرت على يد مرداويج وأتباعه فى السنين التالية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لحوادث قريبة الوقوع . ونحن نعلم مما يقوله أبو حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة (ج ٣ ص ١٤٥ — ١٤٦) أن قدامة عرض كتابه هذا في سنة ٣٢٠ على عليّ بن عيسى حيث يقول « وما رأيت أحداً تناهى في وصف النثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة بن جعفر في المنزلة الثالثة من كتابه . قال لنا علي بن عيسى الوزير عرض عليّ قدامة كتابه سنة ٣٢٠ واختبرته فوجدته قد بالغ وأحسن وتفرد في وصف فنون البلاغة في المنزلة الثالثة بما لم يشاركه فيه أحد من طريق اللفظ والمعنى » . فهذا الكتاب قد تم الفراغ من تأليفه قبل سنة ٣٢٠ قطعاً . أما كتاب « البرهان » فلم يكن موجوداً في هذا الوقت ولنا على هذا ثلاثة أدلة .

أ — يقول أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم في البرهان : « وقد رأيت شيخنا علي بن عيسى رحمه الله يكاتب أم المقتدر » وإشارة أبي الحسين في كتابه إلى وفاة علي بن عيسى تدل قطعاً على أن علي بن عيسى لم يمش حتى يرى هذا الكتاب ، وقد مات علي بن عيسى سنة ٣٣٥ ، وهو أمر يدل على أن أبا الحسين ألف كتابه بعد سنة ٣٣٥ .

ب — ويقول أبو الحسين أيضاً « ومنه ترجمة لأول مقالة ولأبي الحسن بن خلف بن طياب رحمه الله » وقد كان أبو الحسن ابن خلف هذا حياً إلى سنة ٣٣٠ (راجع أخبار الراضي والمرتضى للصولي ص ٢٣٠ — ٢٣١) .

ج — ويقول أبو الحسين في « البرهان » أيضاً مشيراً إلى مقتل المقتدر على يد غلامه مؤنس : « وكان نتيجة هذا الإهمال وثمرة هذه الأفعال أن خرج السلطان في جيشه على أحسن زينة لقتال غلام من غلمانه فقتل وحده من بين أهل عسكره وتفرق عنه الباقون ورجعوا موفورين » . وقد حدث هذا في سنة ٣٢٠ (راجع المنتظم ج ٦ ص ٢٤٣) وأبو الحسين يقص هذه الحادثة على أنها قصة معروفة للعبرة وضرب المثل فيما يصيب ولاة الأمر عند إهمالهم ، ولا بد أن تكون قد مرت عليها سنوات أصبحت بها مثالاً للعظة وضرب الأمثال ، فكتابه لا بد أن يكون قد ألف بعد هذا التاريخ .

والنتيجة التي نجمعها من كل ذلك هي أن قدامة ألف كتابه قبل سنة ٣٢٠ وأن أبا الحسين ألف كتابه بعد سنة ٣٣٥ حسب ما جاء من نصوص تاريخية في ثنايا الكتابين .

رابعاً — من الكتب المعروفة على وجه التحقيق لقدامة كتابه « نقد الشعر » وقد عالج فيه الشعر وفنونه بوجه خاص . وقد عالج صاحب « البرهان » في كتابه الشعر أيضاً ، فلو أنه كان لقدامة لما احتاج إلى معالجة هذه الموضوعات مرة أخرى بمثل هذا البيان الكافي ، وفضلاً عن ذلك فإن معالجة الشعر في « البرهان » تختلف اختلافاً جوهرياً عنها في كتاب « نقد الشعر » من الناحية الفنية والموضوعية ، وما قصيدة الأستاذ العبادي في تحقيقه من مقارنات إنما هو مجرد افتراضات لا تقوم أمام الفحص . ومما يستحق أن نذكره من المقارنات أن قدامة في « نقد الشعر » حينما يسوق أقوال المتقدمين من الفلاسفة يذكرها مجملاً : « فلاسفة اليونان » ، في حين أن صاحب « البرهان » يذكرهم بأسمائهم كأن يقول « قال أرسطوطاليس » .

خامساً — وقد كان مؤلف « البرهان » فقيهاً شيعياً من غير شك . ودليل ذلك منشور في أثناء الكتاب . فمن ذلك اهتمامه بنقل أقوال أئمة الشيعة وذكره لهم دائماً عند كل استشهاد بما يشعر بتشيعه كقوله « الأئمة عليهم السلام . الأئمة الصادقين . الأئمة المستودعين علم القرآن . روى عن الصادق عليه السلام » اهتمامه بنقل فقه الشيعة كاملاً في تعرضه لأقوال الفقهاء ، وترجيحه لآرائهم في بعض الأحيان ظاهرة تدل على تمكنه في نحلته الشيعية . وقدامة بن جعفر لم يكن من الشيعة ولا من فقهائهم كما هو معروف وكما يدل عليه ما كتبه عن الخراج ، وإنما كان نصرانياً في الأصل وأسلم على يد الخليفة المكتفي بالله ، وإذا أسلم نصراني على يد خليفة عباسي — وذلك إنما يكون عادة طمعاً في مناصب الدولة — فمن المستبعد أن يصير علوياً متشيعاً مرة واحدة . وما أورده الأستاذ العبادي في توجيه مسحة التشيع الظاهرة في الكتاب من أن قدامة قد جارى بني بويه بعد دخولهم بغداد سنة ٣٣٤ يرده النقد التاريخي ، وقد كتب قدامة كتابه في الكتابة قبل هذا التاريخ بأربعة عشر عاماً على الأقل ، ومات بعد دخولهم بغداد بوقت قصير .

سادساً — وصاحب كتاب « البرهان » يصر في كل مناسبة على ذكر الرجال المشهورين من آل وهب معظماً لهم نخوراً

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بهم كأن يقول « وقد كان شيخنا أبو على الحسن بن وهب رحمه الله ... » وقال أبو أيوب رضى الله عنه : « وقد ذكر أبو أيوب رحمه الله رجلا مشهورا بالبلاغة . ولو لم نتقدم من ذكر البلاغة إلا بهذا القول من شيخنا رحمه الله لكفى وأجزى » وأبو أيوب هذا هو سليمان بن وهب عميد آل وهب وجد المؤلف .

سابعا — وهناك أمر يجب التنويه إليه وهو أن البطليوسى فى كتابه « الاقتضاب شرح أدب الكتاب » قد كتب فصولا طويلة بنى عليها مقدمته فى شرح الكتاب (ص ٦٦ — ٩٠) وهذه الفصول تتفق فى لفظها فى معظم الأحيان تمام الاتفاق مع بعض فصول كتاب البرهان ، وفى بعض الأحيان تتفق معها مع تعديل طفيف ، ولكن البطليوسى لم ينسبها إلى أبى الحسين ولا إلى قدامة ، وإنما أشعر بنسبتها إلى على بن مقلة (المتوفى سنة ٣٢٧) ، ولا يمكن أن يقال إن هذا الكتاب « البرهان » هو لابن مقلة ، وأن البطليوسى نقل عنه بعد أن أثبتنا أن « البرهان » ألف بعد سنة ٣٣٥ وبعد وفاة ابن مقلة بنحو ثمانى سنين ، كما أن شيوخ صاحب « البرهان » كما جاء ذكرهم « بالبرهان » لم يكونوا شيوخا لعلى بن مقلة ولم تكن له بهم صلة قريبة ولم يكن على بن مقلة شيعيا . والقدر المتيقن أن البطليوسى لم يحتسب على أى حال قدامة بن جعفر مؤلفا للكتاب الذى نقل عنه على فرض أنه نقل فصوله من كتابنا هذا . ومن المحتمل أن يكون « البرهان » قد نسب مرة إلى على بن مقلة كما نسب إلى قدامة ابن جعفر وجهل أمر صاحبه . ومن المحتمل أيضا أن يكون البطليوسى ومؤلف كتابنا هذا من قبل كلاهما قد نقل نقولا من كتاب لابن مقلة فى هذا الموضوع ، وهو أمر لم تساعدنا الظروف على تحقيقه .

وجملة القول أن مؤلف كتاب « البرهان » يجب أن تتوفر فيه من الشرائط :

(١) كونه شيعيا . (٢) أن تجمعه أواصر القربى بآل وهب .
(٣) أن يكون قد ألفه بعد سنة ٣٣٥ . (٤) ألا تزيد أبواب كتابه على أربعة أبواب كاملة .

وهذه الأحوال لا تجتمع فى قدامة بن جعفر ، ولكنها يمكن أن تجتمع فى مؤلف آخر . وفى يدنا مخطوطة قديمة كاملة للكتاب ذكر المؤلف فيها إسمه فى متن الكتاب ، هكذا « أبو الحسين إسحق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب » فنحن على أن ننسب الكتاب إليه إلى أن يظهر لنا خلاف ذلك . ولم نجد ذكرا لهذا الكاتب أو لمؤلفاته فى المراجع والمظان المعروفة لنا . ومن غريب الأمر أن هذا الكتاب قد نسب إلى قدامة ابن جعفر فى طرة المخطوطة الإسكوريالية ، وكذلك فى طرة المخطوطة التى بأيدينا مع ورود إسم المؤلف فى أثناء الكتاب وهو أمر غفل عنه الناسخ ، وتفسير هذا التناقض يسير ، فإن الوراقين كانوا يعرفون قيمة قدامة الأدبية ويعرفون شهرة كتابه فى الأدب فلا يستبعد عليهم أن يضعوا إسمه على هذا الكتاب لتسهيل بيعه وتداوله ، وهذه طريقة معروفة عند النساخ والوراقين لا تخفى على المحققين . ونذكر مثلا قريبا لذلك كتاب « أسرار البلاغة » نشر بمصر وجاء فى خاتمة الكتاب أن مؤلفه أتمه فى سنة ٨٥٥ ومع ذلك نسب فى طرة الكتاب لبهاء الدين العاملى المتوفى سنة ١٠٠٣ وعرف باسمه لدى الوراقين . وفى كتب الفهارس ، وغير ذلك كثير .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

وبعد فإنصافا للعلم والعلماء ، وإنصافا لأنفسنا كذلك ، لا يسعنا إلا أن ننوه فى ختام هذه الكلمة بأن عالمين جليلين كانا قد أظهرا الشك فى نسبة كتاب « نقد النثر » إلى قدامة بن جعفر ، وأنه لا بد أن يكون لكاتب آخر مجهول من أهل القرن الرابع . وهذان العالمان الفاضلان هما الدكتور طه حسين بك والأستاذ محمد كرد على ، فاستحقا منا التقدير والثناء . وهانحن أولاء قد قمنا بما تمليه علينا الأمانة العلمية بتقديم أدلتنا على أن الكتاب إسمه « البرهان » وأنه من تأليف أبى الحسين إسحق بن إبراهيم ابن سليمان بن وهب الكاتب ، وأن الجزء الذى نشر منه تحت إسم « نقد النثر » ليس إلا نحو ثلث الكتاب الأصلى الذى قد حررناه ونقدمه للطبع الآن ليكون بين أيدى العلماء فى القريب إن شاء الله ليصبح موضع بحثهم ونقدهم .

ولست أنسى هنا أن أقدم للعلماء الأستاذ العالم مجتبى مينوى بلندن زميلى فى تحقيق هذا الكتاب وإعداده للنشر ، فهو يشاركنى مسئولية إخراج الكتاب بما يتبعها من قبول أو نقد .

(المركز الثقافى الاسلامى بلندن) على حسن عبد القادر

أحمد الزين «الانسان»

للأستاذ عبد الفتاح البارودي

فى ٥ نوفبر من العام الماضى روعت الدوائر الأدبية بفقد الشاعر العالم الراوية (أحمد الزين) . وما أظن أحداً من عشاق الأدب يجهل قيمته الأدبية ؛ ويكفى أن نقول إنه شارح روضابط ومصحح العقد الفريد ، وإمتاع الأسماع ، ونهاية الأرب وما إليها من أمهات الكتب بمفرده حيناً وبالاشتراك مع آخرين من الفضلاء أحياناً . كذلك يكفى أن نقول إنه كان فى مقدمة « الرواة » فى العصر الحديث ، بل ربما يكون قد انتهى بموته عهد « الرواية الأدبية » ...

ومع هذا فلست أريد فى هذا الحديث أن أتكلم عن أدبه مرجئا ذلك لفرصة أخرى ؛ وإنما أريد أن أحاول تصوير بعض ملامح شخصيته الطريفة النادرة تصويراً سريعاً قبل أن تغمرها موجة النسيان ؛ فقد كان الفقيد نموذجاً فريداً فى الحياة من طراز خاص وأسلوب خاص ومزاج خاص منقطع النظير .

الزين الظريف :

كان رحمه الله ظريفاً إلى أقصى حدود الظرف فى كل حركاته وسكناته . وقد تجلى ذلك فى معظم منظوماته حتى فى المراثى ! ! ولا زلت أذكر يوم اشترك فى تأبين شاعر النيل (حافظ إبراهيم) بقصيدة مطلعها :

أفى كل حين وقفة إثر ذاهب ... وصوغ دم أقضى به حق صاحب
أودع صحبى واحداً بعد واحد ... فأفقد قلبى جانباً بعد جانب

وبالرغم من هذه البداءة الحزينة التى لاءمت المناسبة الحزينة فإن ظرفه سرعان ما غلب عليه ونقله من الحزن الخالص إلى التهكم الذى أضحك الحاضرين على من سماهم « المجددين » فقال مقارنا شعر (حافظ) بشعرهم :

فذاك جلال الشعر لاشعر عصبة ... يطالعنا تجديدهم بالحواصب
دواوين حسن الطبع موه قبحها ... وهل يخدع النقاد نقش الخرائب
فيا ضيعة الأوراق فى غير طائل ... ويا طول ما تشكو رفوف المكاتب

كذلك فى قصيدته فى ذكرى (تيمور باشا) غلب عليه ظرفه فنقله أيضاً إلى التهكم على الناقلين عن اللغات الأجنبية بلا فهم لدقائقها ولا تمكن من لغتهم الأصيلة بأبيات جاء فيها :

من كل ألكن نابغ فى عيه ... لهج بدعوى العلم وهو جهول
ويكاد يرشح عقله أمية ... حتى عليه يشكل التشكيل
إن رام شعراً لم يقم ميزانه ... ورويه قيد عليه ثقيل
أو رام نثراً عىّ دون مراده ... لفظ يطول وما به معقول
وإذا يترجم كان فى تعقيده ... قبر به المعنى البرىء قتيل
لا نجحد الغربى سحر بيانه ... لكن سوء النقل عنه يحيل
سفراء سوء باعدت ما بيننا ... ولربما جلب الشقاء رسول

وكان طبيعياً أن يتجلى ظرفه أكثر من هذا فى ألوان الشعر الأخرى حيث تتسع الفرصة للتهكم والسخرية .

أذكر أنه أراد ذات مساء أن يعتذر تليفونياً عن موعد هام واتفق أن ظل التليفون مشغولا بأحد الثقلاء أكثر من نصف ساعة ... إذ ذاك نظم قصيدته (المسرة) التى يقول له فيها :

نجدّ فى أذنها أو اهزل ... وقل ثناء بها وثلبا ...
فلا تراها تسد أذنا ... مهما تطل لو قرأت كتبا
وكم ثقيل الحديث لولا ... جمودها أو سمته سبا
تكاد مما يطيل فيها ... تفر ممن دعا ولبى
فيالها آلة تربى ... ذا الجهل بالذوق لو يربى

وذات ليلة دعاه أحد أصدقائه لسماع مغن وكان — كالمنتظر — سقيم الصوت ، فنظم بهذه المناسبة أبياته المشهورة التى يقول له فيها :

حمار لا يمل من النهيق ... يضيق به التجلد أى ضيق
مغن يجلب السلوى ويفنى ... بقايا الشوق فى قلب المشوق
منى الأوتار لو أمست سياطا ... يصب بها على الجلد الصفيق
بطانته — حماك الله — رهط ... كأن صياحهم جرس الحريق
وكانت ليلة ياليت أنى ... دفعت بها لقطاع الطريق
جزى الله المغنى كل خير ... عرفت به عدوى من صديقى

إلى غير ذلك من النوادر التى لا حصر لها .

الزين والمجتمع :

كان معظم الناس عنده « خلائق » لا يرتفعون عند حسن

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظنه . وكان يقسمهم إلى أقسام عجيبة فى دلالاتها : (بلاوى — حميد الصفات — علامة — سبع) !

فكل (باشكاتب) يجلس فى الأماكن العامة متحلياً بخاتم ثمين وساعة ذهبية وياقة منشاة و (يحشر) نفسه فى الأدب والفن دون دراية فهو « بلاوى » !

وكل (مخلوق) حلو الشمائل وديع الصوت سليم الطوية ولكن لا علاقة له بالأدب فهو « حميد الصفات » !

وكل أديب يعرف من أين تؤكل الكتف فينتسب — بالإلحاح — إلى جريدة كبيرة أو يتقرب — بالزلفى — إلى عظيم أو وزير ويصل من وراء ذلك إلى ما يبتغيه فهو «علامة» !

وكل أديب لا تعدو وظيفته أن تكون من الدرجة السادسة أو أقل فهو « سبع » !

وغرضه من ذلك وصف الأديب بالقدرة على البطش والقناعة مع هذا (بلقمة العيش) ..

ولا غرو فقد كان رحمه الله (سبعاً كبيراً) أى موظفاً باليومية لولا أن أسعفه قرار (الإنصاف) ثم (التنسيق) فرقى فى آخر شهر من حياته إلى الدرجة الخامسة .

الزين والأدباء :

وكانت علاقته بمعظم المحدثين من الأدباء مضطربة لصراحته فى إبداء رأيه فى أدبهم ، بل إنه كان يكره أحياناً أن يستمع إلى شعرهم الذى كان يصفه بقوله :

عناوين كالألغاز حيرت النهى ... وما تحتها معنى يلذ لطالب
هم جدى الشعر آذوا جماله ... بما ألصقوا فى حسنه من معايب
وكم دافعوا عن مذهب العجز جهدهم
فما غسلوا أسواء تلك المذاهب
وكم ملأوا بالزهر والنهر شعرهم ... بلا طيب مستاف ولا رى شارب
وكم يذكرون الأيك والطير صدحا
عليها فلم نسمع سوى صوت ناعب
وكم هاتف بالخلد منهم وشعره ... توقى سقطا قبل عقد العصائب
وشباك أذاة الحب أطفأ جمره ... بشعر كبرد الثلج جم المثالب
فأقسم لو يبقى وصالا بشعره ... لجانبه من لم يكن بمجانب !!

أما علاقته بشيوخ الأدباء وكهولهم فكانت مشبعة بالصفاء والوفاء لمحض المودة من جهة وتقديراً لأدبهم من جهة أخرى . فمثلا كان يوقر حضرات أعضاء لجنة التأليف (وبخاصة أحمد أمين وأحمد زكى) ... وكان يعشق أسلوب (الزيات) ونظم فى هذا الصدد قصيدة بائية رائعة لم أحفظها مع الأسف ولم تنشرها (الرسالة) حتى لا تتهم بمحاباة رئيس تحريرها فيما أظن[1].

وكان يعجب بطه حسين إعجاباً بالغا بدا بعضه فى تقريظه لكتاب (مع أبى العلاء فى سجنه) بأبيات بارعة جاء فيها :

يا مؤنس المسجون فى سجنه ... وسلوة المحزون من حزنه
من كنت فى السجن له صاحبا ... فسجنه الجنة فى حسنه
أساء بالعالم ظنا ... ولو أدركته حسن من ظنه
أقسم لو خير فى عينه ... وفيك لاختارك عن عينه !!

إحساس الزين :

ولعلى لم أصادف كثيرين فى مثل دقة إحساسه . وبالرغم من تسامحه الملحوظة مع معارفه فقد كان ينفعل وأحياناً ينزوى فى بيته عن الناس جميعاً أياماً بل أسابيع إذا أحس بإهانة صغيرة من أحدهم . وربما كانت دقة إحساسه من أهم أسباب استمرار غبنه لخجله من الشكوى .

أذكر أنه طلب مقابلة أحد الوزراء يوماً ما ليرجوه فى انتشاله مما حاق به من غبن ، فتذكره الوزير كصديق قديم واحتفل به وأخذ يردد له بعض ما يتعلق بماضيهما فآثر (الزين) أن يقصر المقابلة على استعادة الذكريات دون أن يخدش إحساسه برجاء !

الزين والحب !

وعلى كثرة ما باح به لأخصائه من أسراره فإنه لم يبح لأحد بشىء عمن أحبها وإن كان دائم البوح بطهارة حبه وطهارتها . كانت هذه مصدر شعره الغزلى الجيد من نحو (عاود القلب حنينه) و (عللينا بالأمانى) و (ما غناء الراح) . الخ .

والغريب أنه كان كثيراً ما يرتاب فى حبها له ويخشى أن يكون منها ضربا من الشفقة والمواساة . و(الزين) إذا ارتاب تمالى

(١) أرجو ألا يشطب هذه الفقرة رعاية لحق التاريخ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد إقبال
شاعر الشرق والاسلام
للأستاذ مسعود الندوى

١٣٨٩ – ١٣٥٧ ١٨٧٣ – ١٩٣٨

(لو كان وحى بعد وحى محمد
لانشق ذاك الوحى عن آياته)

أمير البيان

يعرف قراء العربية شيئاً كثيراً عن زعيم الهنادك غاندى وزعيم الهند الإسلامية دفين الحرم القدسى الشريف (١) محمد على رحمه الله ، وشاعر بنغال طاغور وغيرهم من رجال الهند وزعمائها . ولكن معرفتهم بشاعر الشرق والإسلام الدكتور محمد إقبال ضئيلة جداً . والتبعة فى ذلك علينا ، إذ لم ننقل أفكاره إلى لغة الضاد ، حتى فاضت قريحته بهذه الشكوى اللطيفة :

نواث من به عجم آتش كهين أفروخت
عرب زنغمة شوقم هنوزب جراست

لقد أذكى شعرى النار الخامدة فى قلوب العجم ، ولكن العرب لا تزال تجهل ما أبثه من آيات الوجد والشوق .

لذلك رأيت أن أتحدث إلى قراء الرسالة — وهم الصفوة المختارة من قراء العربية — عن محمد إقبال ، الشاعر الحكيم الذى أوتى نوراً من القرآن الحكيم ، وقبساً من أسرار الكون ، ومنحه الله نظرةً ثاقبةً فى حوادث المستقبل ، وبصيرةً نافذةً فى حقائق الأشياء .

نعم ، أريد أن أتحدث إليك عن الرجل الذى أيقظ فى شباب الأمة وشيوخها فكرة الاعتزاز بالقومية الإسلامية ، وجعل من هذه الأمة البائسة المسكينة أمة قوية الشكيمة ، متعصبة العزيمة ، وثابة إلى المجد ، حريصة على تراث أسلافها .

إنى أود أيها القارئ العربى ، أن أعرفك بالشاعر الحكيم الذى جعل من الشبيبة المسلمة الهندية ، وهم متعمقون فى القومية (١) الملونة ، مسلمين صادقين مؤمنين بالوحدة الإسلامية محاربين لنزعات الإقليمية والجمود والإلحاد ، وما أكثر عددهم ؛ فكم من متسكع فى ظلمات الزندقة والإلحاد ورد ماء شعره ،

(١) وهو الذى قال فيه أمير شعراء مصر :
أفنى بدفنك عند سيدة القرى مفت أراد الله فى إفنائه

(١) أريد بالقومية الملونة « القومية » التى تدعى فى مصطلح الافرنج بكلمة Natiomalism وهى فكرة سياسية تناقض مبادىء الاسلام كما لا يخفى . أما القومية المرادفة لكلمة Nationality فلا مشاحة فيها ، لأن الاسلام لا يحول بين المرء وبين العطف على بنى قومه وعشيرته والتودد إليهم .

فاستحال عليه الاطمئنان ... وقد رحمها الله من هذا الارتياب المنيف إذ ماتت قبله بنحو سنتين وحاول هو أن يرثيها فلم يستطع ومات وفى صدره قصيدتها .

الزبيه الوالد :

ومن المؤلم أنه نكب فى أولاده فماتوا فى طفولتهم . وأخيراً رزق طفلا هو الآن فى الثامنة من عمره ، ولكنه مع الأسف نكب فيه حياً بأفظع مما نكب فى إخوته أمواتاً ! فقد اكتشفت مدرسته الأولية ضعفاً فى نظره بالرغم من حسن منظر عينيه ؛ وهرع (الزين) إلى الطبيب ، وحينئذ علم أن الولد مصاب بمرض وراثى له أثره الخبيث فى شبكية العينين وأنه من المحتمل أن يفقد الإبصار فى مرحلة الشباب !

وخرج من العيادة ضرير الماضى يجر فى يده ضرير المستقبل .

الزبيه العائل :

كان يعول الفقيد المزين بخلاف ولده هذا زوجة كريمة تقية ولست أدرى شيئاً عن مصيرها بعده .

والرأى لأولى الأمر لعلهم أن يعملوا على تقرير معاش لهما .. فلقد أفنى الرجل نضارة عمره فى الإنتاج الأدبى المثمر أكثر من عشرين عاماً بين جدران «دار الكتب» دون أن يحظى بالتثبيت فى وظيفة دائمة بسبب عاهته ، بينما حظى به آلاف من ذوى العيون التى لم تقرأ كتاباً واحداً !!

عبد الفتاح البارودى

فوجـد فيه ما يثلج الفؤاد ، وينور العـقل ، ويهذب النفس . وكأين من متشـكك فى عقيدته دخل حديقة شعره الغناء ، وهو يريد أن يتنزه بين جداوله وأنهاره فشاهد فيها الزهرة الباسمة التى علقت بفؤاده ، والنرجس الغض الذى أسر فؤاده بجمال مُحياه ، فجعل يدخل فيها الفينة بعد الفينة ، وأخذ يرد عينها الصافية بين آونة وأخرى ، حتى يُشرب فى قلبـه بعض ما أشرب صاحبها من حب الإسلام والثقافة الإسلامية .

— ١ —

تخرَّج محمد إقبال فى الـكليات المصرية ، ودرس فيها علوم الفلسفة والتاريخ إلى أن نال الشهادة العليا فى الفلسفة . فعُـيِّن معلماً للفلسـفة فى الـكلية الأميرية Goverememt College بلاهور ، وذلك فى السنوات الأولى من هذا القرن ؛ ثم سافر إلى لندن ، وأقام فى جامعة كيمبردج زمناً يدرس الفلسفة والحقوق إلى أن منح شهادة المحاماة Ber—at low ، ثم سافر إلى برلين لدراسة الفلسفة وما زال بها حتى نال لقب الدكتوراه Ph. D. ورجع إلى مسقط رأسه سالماً غانماً .

نشأ إقبال مفطوراً على التأمل والتعمق فى حقائق الـكون ، وبدأ يقرض الشـعر وهو فى عهد الطلب . وظهرت من أول قصائده أمارات النبوغ والـكمال ، مع أنها كانت منسوجة على منوال شـعراء العصر فى الغزل والنسيب ؛ ثم أخذ يقرض مقطوعات شعرية فى الطبيعة وذكرى بعض الشعراء ورثاء بعضهم حتى ترقت فـكرته الشعرية وأخذ يحس بما ناب وطنه وأهله من النوائب ، فبدأ يجيش صدره بأبيات فى الوطنية تأخذ بمجامع القلوب وتحرك النفوس الخامدة . ومن أحسن قصائده فى هذا العهد وأبلغها أثراً فى القلوب قصيدة نفثة مصدور ، (تصوير درد) التى صور بها حال الهند السيئة وما فيها من تطاحن وشقاق بين أبنائها . وهى أول شعر له عرف به الناس أن ناسج برده شاعر مطبوع يُلهم القول إلهاماً . وكذلك نجد كلمته (بلال) الروح الدينى الذى امتاز به الشاعر ، والذى جعله فى ما بعـد يتبوأ كرسى شاعر الإسلام الخالد الذى كان فارغاً منذ مئات من السنين . وجملة القول أن شاعرنا فى أول عهده بالقريض ، كان شاعراً مطبوعاً وطنياً يترقرق الإخلاص فى كل ما يجيش به صدره ؛ لـكنه لم يكن إذ ذاك الشاعر الحـكيم الذى يشعر بتفكك أوصال الرابطة الاسلامية ، فيدعو أمته إلى الاستمساك بعروتها الوثقى ، وينظر فى مساوىء الحضارة الغربية فيحذر أهل الشرق من الوقوع فى شركها والانخداع بمظاهرها الخلابة …

— ٢ —

سافر محمد إقبال ، أستاذ الكلية الأميرية فى لاهور إلى لندن وبرلين ليتخصص فى الحقوق والفلسفة ، وقد شاهد الناسُ هذا الشاب الهندى فى جامعات كيمبردج وبرلين مكباً على دراسته ، مشتغلاً بالبحث والتنقيب ؛ لـكنهم قلما تنبهوا للروح الاسلامى الذى بقى يضطرب طول إقامته بلندن وبرلين ، ولم تقع أنظارهم على ذلك الشاب المسلم الذى ظلَّ يراقب أحوالهم عن كثب ، ومكث يُعمل بصيرته فى اكتناه أسرار رقيهم ، حتى إذا رجع ، رجع إلى وطنه مسلماً صادقاً ، قد زادته التجارب قوة إلى قوته الايمانية وأطلعته الأيام على مصير المسلمين وأسباب تقهقرهم وانحطاطهم .

ذهب صاحبنا إلى أوربا سنة ١٩٠٥ وقفل منها عام ١٩٠٨ ؛ فمـكث بها ثلاث سنين ، مُكباً على دراسته العلمية ما اشتغل فى ظلالها بالشعر إلا قليلاً . ولـكن ذلك النزر القليل الذى فاضت به قريحته فى تلك الفترة قد جاء ، وعليه مسحة من الشعور الدينى العميق ، والاشمئزاز من مظاهر التمدن الحديث ، والتبرم بالمتفرنجين من أبنائنـا . وعلى ذلك فقد أحسَّ أول مرة فى أوربا بالجامعة الاسلامية وشعر بأن الوطنية الجغرافية لا تزيد المسلمين إلا تمادياً فى الغىِّ وبُعداً عن منهج الإسلام الصحيح . فتحولت فـكرته الوطنية إلى فـكرة دينية إسلامية ، شاملة لـكل من يدين بكلمة الإسلام . ومن هنا ترى أن شعره فى هذه الفترة ، على قلته ، أبسق فرعاً ، وأحلى جنىً ، وأطيب ثمراً منه فى دوره الأول ، فتراه يقول :

نرالا سارى جهال سى اس كو عرب كى معمارنى بنا
بنا مهارب حصار ملت كى اتحاد وطن يس الله

قد اتخذ (أى دار الإسلام) البنّـاء العربى فنا فريداً ممتازاً عن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سائر أبنية العالم ، فليست الوحدة الوطنية أساساً لبناء قوميتنا .

وكذلك نجده يشكو المتفرنجين المفتتنين بأوربا و يُعدم عن الدين ، ويقول بأسلوبه الشمرى البديع الآخذ بالألباب نعرِّب معناها ، مجردة عن اللطائف الشعرية :

«بالأمس كان رجل ثائر يبكى ويصرخ على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن مسلمى الهند ومصر يريدون أن يهدموا بنيان الإسلام ، ومهما أراد زوار حرم الغرب هؤلاء أن يرشدونا إلى الخير ، فإنهم لا يمكن أن يكون لهم أى سلطان علينا ، لأنهم طالما غفلوا عن اتباع سننك والاهتداء بهديك » .

ثم يقول فى هذه المقطوعة ما يبكى له قلبُ كل مسلم :

« ومن يُصغى إلى كلامك يا إقبالُ ؟ فإن الزمان قد تغير وإنك تقصُّ علينا الأحاديث البالية فى هذا العصر الحديث » .

ولله درُّه إذ يقول من كلمة له ، يخاطب بها القافلين من سفر الحج :

يا ليت من يسأل الحجاجَ القافلين من بيت الله الحرام : ألم يجدوا هنالك شيئاً يهدونه إلينا غير كاس من ماء زمزم ؟

وأجود شعره فى دوره الثانى ، كلمته الوجيعة التى رثى بها صقلية حين عودته إلى الوطن . فإنه حينما مرت باخرته على تلك الجنة المفقودة عاودته الذكرى ولم يكد يملك فؤاده وعينه ، فبكى ملء عينه وجاد طبعه بأبيات أبكت جماً غفيراً من الناس ولا تزال تُبكى ألوفاً من الشبان .

ولله درُّ تلك القريحة المبدعة التى جادت بهذه الكلمة العصماء التى أولها (١) :

تعالى ، ساعدينى أيتها العين الثرثارة وابكى ما شئت دموعاً ودماء فإن تربة المدينة الحجازية ماثلة أمام أعيننا .

ثم تطرق إلى ذكر العرب فهزَّته العاطفة وجعل يُعدِّدُ مفاخرهم التاريخية :

كانت هذه البلاد يوماً ما مركزاً لأولئك العرب الذين

كانت البحار ملعباً لسفنهم فى سالف الأزمان

والذين زلزلوا عروش الأكاسرة والقياصرة

والذين كانت سيوفهم مخدعاً للبروق والرواعد

(١) وأنى لهذا الكاتب المعجمى أن يفرغها فى قالب من لغة الضاد جدير ببيان الشاعر الناصع الجزيل ، فنكتفى بترجمة معنى الأبيات بصرف النظر عن جمال الأسلوب ، وروعة البيان . وذلك عملا بقوله تعالى : « فان لم يصبها وابل فطل »

ثم تفنن فى القول وقال : إن بلبل شيراز (سعدى) بكى على أطلال بغداد ، وسكب (داغ (١)) سجال دموعه على (دهلى) الشهيدة ، وأدى (ابن بدرون) فؤاده رثاءه للأندلس المرحومة ، ومُنى إقبال الحزين بالبكاء على أطلالك وتدراف الدموع على تربتك ، فكأن القدر اصطفى القلب الذى كان حرياً لحبك محرماً

وفى ختام الكلمة بيتٌ ، هو مرآة قلب الشاعر وبيت فيه بيان الحقيقة ، وبها تنتهى الكلمة ، قال سقى الله ثراه ونضر وجهه يوم القيامة . يناجى صقلية :

اشرحى حالك لى وبوحى بما تكنه جوانحك من تباريح الشوق ، فإنى رجل قتله الحب وأضناه هوى مثلك ، وبقية من الركب الذين كنت منزلهم ومحط رحالهم ، سأذهب بهديتك إلى الهند وأبكى فيها أناساً ، كما أنا أبكى ههنا أمامك .

(يتبع) مسعود الندوى

(١) شاعر هندى من أهل دهلى ، عاصمة الهند ، وقد شاهد خرابها بعينه عام ١٨٥٧م بيد الأنجليز فرثاها أوجع رثاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصـــادر للباحثين

٦٠ قرش تاريخ الإسلام وطبقات الأعلام لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ (الجزء الأول)

٤٥ قرش اللباب فى الإنساب لابن الأثير (الجزء الأول)

٤٠ قرش اللباب فى الإنساب لابن الأثير (الجزء الثانى)

١٥ قرش مراتب الاجماع لابن حزم (جمع فيه المسائل المجمع عليها فى أبواب الفقه كلها) ومعه محاسن الإسلام (فى حكمة التشريع)

٧٥ قرش فتاوى تقى الدين السبكى المتوفى سنة ٧٥٦ (فى الفقه والتفسير والحديث والنحو)

٢١٥ قرش مجمع الزوائد للحافظ نور الدين الهيثمى (جمع فيه زيادات مسانيد أحمد والبزار وأبى يعلى ومعاجم الطبرانى الكبير والأوسط والصغير ، وغيرها على كتب السنن الستة) ٢٠ قرش ديوان السرى الرفاء الشاعر الرقيق

تطلب من (مكتبة القدسى) بحارة الجداوى بميدان أحمد ماهر باشا بالقاهرة س . ت ١٦١٥ .

دراسات تحليلية :

الجنيـــد

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

فى حاضرة الخلافة العباسية مدينة العلم والنور وبين مجالس الزهد والتقوى ومسارح اللهو والمجون ، ولد العالم الأديب المحدث الفقيـــه الصوفى المتنسك أبو القاسم[1] الجنيد بن محمد الخزاز القواريرى ، ودرج فى بيت أبيه لا يرى فيه من مظاهر النعمة والثراء شيئاً مذكوراً ، ولا تسمع أذناه سوى ارتطام القوارير التى كان أبوه يبيعها . ولما بلغ مبلغ الصبيان صار يذهب إلى دكان أبيه ، فكانت كثيراً ماتقع عيناه على موكب من مواكب الخليفة يسير فى شوارع بغداد خارجاً لصيد أو ذاهباً إلى مسجد لأداء الصلاة تحف به مظاهر الأبهة والملك وتحيط به حاشية من وزراء وقراء وجنود وصحاب، فكانت تستهويه هذه المواكب، وتسحره هذه المظاهر، ويتمنى — شأن كل من فى مثل سنه — أن يكون كأحد هؤلاء الذين يحيطون بالخليفة ويحفون به . أو يمر على حانة من حانات القصف واللهو تختلط فيها رنة الكأس بأصوات المغنيات ، وتتعالى فيها صيحات الاستحسان من قوم سلبتهم بنت الحان عقولهم ، فيقف ينصت لمـا يقولون ويسمع ما به يترنمون ، فيود لو جلس بينهم وشاركهم لهوهم وفرحهم ، فإذا آب إلى بيت أبيه فى أحد أزقة بغداد هاله الفرق البعيد وأخرجته مرارة الحقيقة التى تتجلى له والتى هو رازح تحت كلكلها ، من تصوراته البديعة وتخيلاته العريضة التى كان سابحا فى ملكوتها ، إلى واقع حياته وحياة من يحيطون به .

ولما صار فتى ألحقه والده بحانوت خزاز ليتعلم صنعة تكون له غناء فى حياته ووقاية له من الفاقة ، وكان كثيراً ما يسمع عن أسماء بعض الفقهاء والعلماء ، وأقوالهم ومجالسهم وما حباهم الله به من نور وعرفان ، فتاقت نفســه إلى مشاهدة مجالسهم وسماع أقوالهم . وذات مساء ذهب إلى إحدى الحلقات التى يؤمها كثير من طلاب العلم ، وهناك جلس فى ركن من أركانها قانتاً خاشعاً فى وقار وتهيب وخشية وخوف ، يسمع ما يقـال ولا ينبس ببنت شفة ، وسحره القول وأعجبه الحديث ، فصار يتردد على هذا المجلس حتى تفتحت بصيرته وانشرح قلبه لنور ربه ، وبدأ يفهم ما يقال ويتأمل ما يسمع .

ثم سمع بإبراهيم بن خالد الكلبى صاحب الإمام الشافعى رضى الله عنه ، فورد عليه وأنصت لما يقول فجذبه قوله واستأثر به حديثه فلزم مجلسه . واسترعت مواظبة الجنيد وحضوره مبكراً نظر الكلبى فقربه إليه وأدناه من مجلسه ، وأعظم فيه مظاهر الورع والتقى على صغر سنه ، ورأى علائم النجابة بادية عليـه ، فاتخذه تلميذاً له يرعاه ويحدوه بعنايته . ولم يقتصر الجنيد على الفقه بل أخذ من كل علم بطرف ، فكان فى الأخلاق تلميذ معروف الكرخى ، وفى التوحيد تلميذ الحارث المحاسبى ...

وصار الجنيد قبلة الأنظار وهو فى سن العشرين . وفى أحد الأيام قال له خاله السرى السقطى وكان من أساتذته ، تكلم على الناس وعظهم حتى تفيد وتستفيد ، ولتعظ نفسك قبل أن تعظ الناس ، فامتنع عن ذلك لأنه كان يرى نفسه ليس أهلا لذلك ، فرأى فى المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت ليلة الجمعة ، فقال له النبى عليه السلام : تكلم على الناس . قال فانتبهت من نومى وأتيت باب السرى قبل أن ينبلج الصبح ، فلما دققت الباب قال لى : لم تصدقنا حتى قيل لك[1] . قال : فقعدت فى هـذا اليوم للناس بالجامع . ثم صار له أتباع ومريدون وأصبح أوحد أهل عصره . فقد كان يفتى فى المسألة الواحدة وجوها لم تخطر على بال العلماء . سأله أحد الفقهاء عن مسألة فأجابه فيها بأجوبة لم تخطر له ، فقال يا أبا القاسم لم أكن أعرف فيها سوى ثلاثة أجوبة مما ذكرت فأعدها على ، فأعادها بجوابات أخرى ، فقال والله ما سمعت هذا قبل اليوم ، فأعده على ، فأعادها بجوابات أخرى غير ذلك ، فقال لم أسمع بمثل هذا فأمله على حتى أكتبه . فقال الجنيد : لئن كنت أجريه فأنا أمليه ، أى أن الله هو الذى يجرى ذلك على قلبى وينطق به لسانى ؛ وليس هذا مستفادا من كتب ولا من تعلم ؛ وإنما هذا من

(١) لم أعثر على تاريخ مولده بالضبط فيما تحت يدى من مراجع .

(١) وفيات الأعيان ج ٣ .

من فضل ربي يلهمنيه ويجريه على لسانى . وسمعه بعض المتزلة فقال : رأيت فى بغداد شيخاً يقال له الجنيد ما رأت عينى مثله . كان الكتبة يحضرونه لألفاظه، والفلاسفة لدقة كلامه، والشعراء لفصاحته ، والمتكلمون لمعانيه ، وكلامه ناء عن فهمهم .

وبينما هو يسير فى الليل فى درب من دروب بغداد سمع غناء فى دار فعاد به الحنين إلى عهد الطفولة فأنصت ، فإذا جارية تقول :

إذا قلت أهدى الهجر لى حلل البـــلى
تقولين : لولا الهجر لم يطب الحب
وإن قلت هـذا القلب أحرقه الجوى
تقولين : نيران الهوى شرف القلب
وإن قلت ما أذنبت قلت مجيبة
حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

فصاح وخر مغشياً عليه . ولما أفاق ورجع إلى بيته أخذ يطيل الفكر فيما سمع ، وترن فى أذنيـه قول الجارية (حياتك ذنب لايقاس به ذنب) فبدأ يتخلف عن مجالسه ويطيل وحدته ويتأمل صنائع الإله وما أبدع فى الكون وبذلك انتقل إلى مرحلة التصوف

والميثاق الذى ورد فى كتاب الله جل شأنه والذى بمقتضاه أقسمت الأرواح أن تؤمن به قبل أن تحل فى أبدانها وقبل أن يخلق الله هذه الأجسام ، هو مذهب الجنيد الذى اعتنقه ونادى به . وصاحب هـذا المذهب يؤمن بوجود حقيقة الإنسان فى الوقت الذى تعهدت فيـه الأرواح بالإيمان لخالقها ، وأن البدن باطل لاوزن له ولايساوى أية قيمة ؛ وأما الحقيقة الإنسانية فهى تنحصر فى الجوهر الروحانى الذى لا تشوبه شوائب المادية ، وفى هذا اليوم الذى تعهدت فيه الأرواح لخالقها بالإيمان تقرر مصير الإنسانية وتحدد نهائياً . ومن هذا اليوم اختار الله السعداء من خلقه فاصطفاهم لحضرته فانكشفت لهم الألوهية فى ذلك الوجود النقى الصافى الذى كان يحتويهم قبل عالم الأشباح ، ثم بعد أن صاروا فى عالم الأشباح لا زال الله يجذبهم إلى العودة إليه من ثنايا هذه الحياة . ولهذه العودة درجات كثيرة مختلفة ومتعددة ، ولـكن أعلى هذه الدرجات وأولاها المعرفة ، وأول مبادئها التوحيد ، ثم تحديد الوحدانية الإلهية ، ولا يكون هذا التحديد حقيقياً إلا بالتنزيه وهو جحود الـكيف والحيث والأين ، ولا يحظى بهذه المنزلة إلا من شاء الله له ذلك عن طريق السكر التنسكى وهو نوع من الجنون الفجائى يمن الله به على من اصطفاه فيصبح بواسطته فى حال يصدر فيها عن القول والفعل دون أن يكون مسئولا عما يقول أو يفعل . ومن يمنحهم الله المعرفة ، ويتجل عليهم بهذه المنزلة يستولى عليهم بعنف جليل . وفى هذا يقول الجنيد عن هؤلاء الذين خصهم الله بقـربه واصطفاهم لحضرته « هؤلاء هم الذين اعتزل الله بهم » .

والمعرفة عنده معرفتان : معرفة حق ، وهى إثبات وحدانية الله تعالى على ما أبرز من الصفات وما أظهر من آثار قدرته فى الأنفس وفى الآفاق . وهذه المعرفة هى معرفة المؤمنين عامـة . ومعرفة حقيقة : وهى مشاهدة السر من عظمة الله وتعظيم حقه وإجلال قدره وتنزيه ربوبيته عن الإحاطة ، لأن الصمد لا تدرك حقائق نعوته وصفاته ؛ فالحق سبحانه وتعالى يشاهد من عظمته . وفى هذا يقول : «المعرفة تردد السر بين تعظيم الحق عن الإحاطة وإجلاله عن الدرك » . أما من اكتفى بظاهر الحياة وما يشاهد فى قلبه من صور ، واعتقد أنه بهذا وصل إلى المعرفة فقد خانه التوفيق وجانبه الصواب والجنيد يقول : «المعرفة أن تعلم ما تصور فى قلبك فالحق بخلافه » . لـكنه وجود يتردد فى الـكون ويحكم تدبيره ، لا تتهيأ العبارة عنه ، ولا تؤدى الـكلمات المقصود منه . فالإنسان مسبوق ، والمسبوق غير محيط بالسابق ، فصاحب الحال قائم موجود عياناً وشخصاً وصفة ونعتاً .

والمعرفة تجعل العارف الذى تعلق بحقيقة الخالق لا يشهد حاله ، بل يشهد سابق علم الحق فيه وأن نهايته صائرة إليه ومصيره إلى ما سبق له ، ومن لم ينعم الله عليه بشهود ما سبق له من الله تحير ، لأنه لا يدرى ما علم الحق فيـه ولا ما جرى القلم به ، ومن عرف ما سبق له من القسمة لا يتقدم ولا يتأخر وتعطل عن الطلب ، فقد عرف أن الله متولى أمره . ومن عرف أن الله متولى أمره تذلل له فى أحكامه وأقضيته وسار فى طريقه مستقيما متذللا . وفى هذا يقول « المعرفة شهود الخاطر بعواقب المصير ، وأن لايتصرف العارف بسر ولا تقصير » . والعارف هو من لبس لـكل حال لبوسها فيكون فى كل حال بما هو أولى وما يناسبه فلا يرى بحال واحدة ، لأن أمره ليس بيده وتصرفه غيره . ولما سئل عن صفة العارف قال : « لون الماء لون الأناء »

وكثيراً ما كان يحكي في هذا المقام ماحدث لأبي بن كعب . قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب (إن الله أمرني أن أقرأ عليك) فقال أبي : أو ذكرت هناك يا رسول الله ! قال نعم : فبكى أبي ولم يرحالا يقابله بها ، ولا شكراً يوازي نعمه ، ولا ذكراً يقوم بما يستحقه المولى جل شأنه ، فانقطع فبكى فقال له النبي عليه السلام (عرفت فالزم) .

***

وذكر الله هو سبيل الوصول إلى الحضرة الربانية ، والهيام به هو تصريح الرور إلى مجلس الأنس الأسمى ، ولا يكون حقيقة من القلب إلا إذا استروح الذاكر حب الله وعاين الحق وثمل من كأس الحبيب وسكر بخمره . وهوقوت القلوب الذى تحيا به ، وزاد الأرواح التى تتزود به ، وأنس النفوس الذى يذهب عنها الوحشة ويزيل همها وكربها ، والماء الذى يطفىء ظمأ الفؤاد ويخفف من حدة اشتعاله ، وهو الدواء الشافى من العلل والأسقام ، والبلسم المطهر لجراحات القلوب ، وهو حبل الوصل بين الذاكر والمذكور ، وسبيل القرب بين المحب والمحبوب ، وكلما ازداد الذاكر فى ذكر محبوبه استغراقاً وهياماً ، ازداد الحبيب المذكور إلى ذاكره تقرباً وإلى لقيساه اشتياقاً . والذكر عنده نوعان : ذكر اللسان وهو أيسر النوعين وأقلها مشقة وأخفها عناء ، وهو ملك للجميع وفى هذا يقول:

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى

فإذا وافق القلب فى الذكر اللسان ، نسى الذاكر فى جنب الله كل شىء وهان عليه كل شىء وحقر فى نظره متاع الدنيا وزينتها ، وطرح مباهجها وراءه ظهريا ، وتعلق بذكر محبوبه وهام به وغرق فى بحر ملكوته القدسى . ومن كانت هذه حاله حفظ الله عليه كل شىء وعوضه بلذة ذكره عن كل شىء ، ومن وصل إلى هذه الدرجة فهو الذى من الله عليه بمنة الوصل والتعرف؛ لأن من بلغ هذا المقام فقد عرف الله حق المعرفة ؛ فى الآثار الإلهى: (إن عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو ملاق قرنه[1]) وفى

هذا يقول الجنيد « من ذكر الله عن غير مشاهدة فهو مفترى »

والذكر بالقلب هو أصل المحبة وعنوان التقرب لأنه يغزو قلب الذاكر وفى هذا يقول : « المحبة ميل القلوب » فالذاكر إذا أحب من يذكره مال إليه قلبه وانجذب إلى حضرته وفنى فى ذاته ، فيكون حبه من غير تكلف ، وهيامه عن صدق وإخلاص . وما دام الذاكر قد مال قلبه إلى من يذكره واتصلت به محبته فإنه يرى اللذة والسعادة فى الخضوع له والتذلل فى حضرته وإطالة الوقوف ببابه طلباً للمثول بين يديه ، والطاعة فيما يأمره به من أعمال ، ويبتعد عما ينهاه عنه ، ويرضى كل الرضا بحكمه فلا تثور نفسه ولا يضجر قلبه إذا نزل به مكروه أو حاقت به نازلة ، يفعل كل ذلك ليحظى بالقرب وينال الرضا من المحبوب ، فإن حظى بمراده وبلغ مأموله فقد طابت له الحياة وصفا عيشه ؛ لأن المحب يتلذذ بكل ما يرد عليه من المحبوب من خير أو شر . وفى هذا يقول : « المحبة لذة والحق لا يتلذذ به لأن مواضع الحقيقة دهش واستيفاء وحيرة » .

وإذا ملك الحب شغاف القلوب ، وتكشف الحال بين الحب والمحبوب ، وأصبحت المحبة تعظيما يحل الأسرار ، وقربا يحيي موات القلوب ، فإذا سمع المحب ذكر محبوبه اضطربت منه الجوارح طربا بالذكر محبوبه فيصبح فى حال من الوجد والهيام ، والمحب إذا كان ضعيفاً إيمانه ضعف وجده ، وضعف الوجد ينتج حالاً من التواجد وهوظهور علامات الهيام على المحب . وأما القوى الإيمان الراسخ القدم الصافى القلب الصادق الحب ، فيكون وجده قوياً وحبه خالصاً ، ومن قوى وجده تمكن فسكن فتراه فى حال من السكر لا يفيق منها أبداً ، وهذه الحال هى حال العارفين . ولا شك أنها خير من الحال الأولى لأن كتمان الحب دليل على قدرة المحب وصبره على تحمل ما يلقى فى سبيل حبه . وفى هذا يقول الجنيد :

الوجد يطرب من فى الوجد راحته والوجد عند حضور الحق مفقود
قد كان يطربنى وجدى فأشغلنى عن رؤية الوجد من فى الوجد موجود

* * *

والجنيد صوفى متنسك وهو زيادة عن ذلك عالم فقيه محدث

---

(١) قرن الإنسان من ماثله سناً ، تقول هو على قرنى أى على مثل سنى ، والقرين الصاحب (قال قائل منهم إنى كان لى قرين) أى صاحب ، والمراد من الحديث القدسى ، أن العارف يذكره وهو مستحضر عظمته مستشعر جلاله وقدرته .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وله كثير من المؤلفات منها (كتاب التوحيد ، وكتاب الفناء ، وكتاب الميثاق ، وكتاب دواء الأرواح ، وكتاب آداب الفقر ، وكتاب سر أنفاس الصوفية ، وغير ذلك كثير) كما أن له رسائل هامة وأجوبة على كثير من الأسئلة التي كانت توجه إليه . وكان ورده في اليوم ثلثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة . ولما حضرته الوفاة جعل يصلي ويتلو القرآن فقيل له لو رفقت بنفسك في مثل هذا الحال ؟ فقال: لا أجد أحوج مني إلى ذلك الآن ، وهذا أوان طي صحيفتي . ثم فاضت روحه ، وكان ذلك سنه ٢٩٨ للهجرة النبوية ، فبكاه الأمراء والعظماء وسارت وراء نعشه بغداد كما كانت تسير وراءه أيام حياته ، وحزن عليه الأصحاب والمريدون .

(أسيوط) عبد الموجود عبد الحافظ

الأزهر والإصـــلاح

للأستاذ محمد سيد أحمد الشال

قرأت ما كتبه الأستاذ محمود الشرقاوي في العدد سنة ٧٨٦ من الرسالة الغراء ، وما علق به الأستاذ سليمان دنيا في العدد ٧٨٩ من المجلة المذكورة . ومقاله الأستاذ الشرقاوي كما وصفه الأستاذ دنيا قد صور الأهداف العليا التي ينبغي أن يتجه إليها المصلحون للأزهر حتى يتحقق له أن يكون قواماً على نهضة دينية أساسها الفهم والإدراك وسعة الأفق ليقاوم ما ينتاش العالم كله من أباحية وإلحاد .

هذه ناحية ، والناحية الأخرى أن يخرج الأزهر طائفة من الرجال يحسون ويدركون علة هـذه الأمة الإسلاميـة وأسباب جمودها وتخلفها ، وجهالة الدوام فيها وتواكلهم وضعف إيمانهم وانصرافهم عن المفيد النافع من شئون الحياة ، واستهتار الخواص وأنانيتهم وجحودهم .

ولقد عتب الأستاذ الشرقاوي أنه لم يرسم الخطوط ولم يبين المعالم للاصلاح . وأنا بدوري أعتب على الأستاذ دنيا أنه لم يحاول أن يكون له فضل السبق إلى بيان الطريق الموصل إلى الإصلاح بعد قوله : فمن الأزهريين كثير من المعنيين بالإصلاح في الأزهر يجاهدون ما وسعهم الجهد لإفساح المجال فيه لسياسة علمية صحيحة. ولست أدعي أنهم نجحوا في محاولاتهم ولكنهم دائبون حريصون؛ ومن الأزهريين كثير من المشغوفين بالحديث عن الإصلاح في الأزهر حتى أصبح شغلهم الشاغل وهمهم الذي يتغذا كرونه في غدوهم ورواحهم وفي خلواتهم ومجتمعاتهم ولهم في هذه السبيل نشاط مذكور .

وأنا لا أشك في أن الأستاذ دنيا من هذا النفر الكريم الذي يعملون في هدوء ويفكرون في سكينة ولا يطلع أحد على مجهودهم أولا يحبون أن يقف أحد على مجهودهم . ولا أدري إلى متى يظلون يفكرون ويقلبون الرأي ويمحصونه ويستخلصون من وراء ذلك كله ما لا يطلع عليه أحد أو ما لا يريدون أن يطلع عليه أحد .

وعلى هؤلاء وحدهم ممن يشعرون بالمسؤولية ويلمسون النقص وبين جوانحهم ضمائر حين تفكر في النهوض بالأزهر إلى المستوى اللائق به تقع التبعة أمام الجيل الحاضر والأجيال القادمة بل أمام الله وأمام رسوله .

وإلى متى يظل هؤلاء في تفكيرهم وسكوتهم . ألم يسمعوا المرسوم الصادر بإنشاء قسم للشريعة الإسلامية في كلية الحقوق لدراسة فقه القرآن والسنة والفقه الإسلامي وأصوله وغير ذلك من المواد ؟ ألم يسمعوا بما اعتزمته الجامعة العربية من إنشاء معهد للفقه الإسلامي ودراسته مع ما يتعلق بذلك من دراسة القوانين الوضعية والمقارنة بين القوانين ؟

وإلى متى يظل التفكير في الإصلاح وطرقه ؟ وأظن أنه سيظل إلى أن ينفذ المرسوم بإنشاء قسم للشريعة في كلية الحقوق ، وبإنشائه تكون السبيل قد مهدت لتوحيد القضاء الشرعي وهو المظهر الضيق الباقي من آثار التشريع الإسلامي . وإلى أن تنفذ الجامعة العربية ما قدرته من إنشاء معهد للفقه الإسلامي تتوسع فيه كل التوسع وتمتز به كل الاعتزاز وتؤازره كل المؤازرة حتى يخرج رجالا لهم دراسات واسـعة مطابقة للأوضاع الحديثـة والاصلاحات الجديدة في الاستنباط والتطبيق والاجتهاد .

وأظن أنه لا يشك أحد أن في تنفيذ ما تقدم سلباً لكثير من حقوق الأزهر واختصاصه واعتداء على ما هيأ نفسه له .

وأي شيء يبقى له بعد ضم دار العلوم للجامعة وبعد إنشاء قسم الشريعة ومعهد الفقه الاسلامي ؟ وأي باعث على ضم دار العلوم

ARCHIVE http://archive.beta.sakhrit.com

رحلات في ديار الشام في القرن الثامن عشر الهجري :

٤ ــ اردان حلة الاحسان

في الرحلة إلى جبل لبنان

لمصطفى البكرى الصديقى

(١٠٩٩ هـ – ١١٦٢ هـ – ١٦٨٧ م – ١٧٤٨ م)

للأستاذ أحمد ســـامح الخالدى

سنة ١١٤١ هـ وفيها قدم الرحالة المصرى الشيخ مصطفى أسعد اللقيمي إلى بيت المقدس :

« نمت علينا بركات سنة (١١٤٣ هـ) فعملنا عاشورا وتآلفنا للسير إلى الزيارة[1] ، وتأهب للتوجه معنا جمع أخيار منهم الأخ الأمجد العديم الأنظار الشيخ أحمد الراغى سالف الأعصار ، والأخ محمد سعيد البصرى البار ، وزكريا النسيبي السيار ، وجملة حضار وبتنا فى السيد (شمويل) ومن حماه كن للأوكار طار ، وإن استقر منا للراحة فى بعض المهار قدار إلى بلدة (لد) المعمورة الجهات والأقطار ، بالدرات المسرات الدار من خطار ، واجتمعنا بصديقنا الفاضل المسعود الشيخ أبى السعود ، فأكرم وحيا ، وزرنا أخاه المرحوم الشيخ حسين رحمه الله ، وسرنا صباحاً إلى يازور ونزلنا داراً تعزى إذ تنسب الملاح وبتنا ليلة الخميس ببسط ما عليه مقيس ، وفى ذلك اليوم الجالب التعيس ، سادس عشر محرم توجه الأخ زكريا (نسيبه) ليغتسل فى البحر ، وما درى السباحة يقيس ، فغاب فيه روحاً وجسما عن العين ، وما ظهر إلا يوم الجمعة فكدر رائق وقت أنيس ، ثم انا استرجعناه ودفناه فى مقبرة الجامع الجديد التأسيس[1] ، وسرنا إلى الحرم[2] نترحم على المفقود وعملنا له ختمة قدها يعيس ، وأهديناه تهليلة جليلة ، وكان الحاج حسن القلدى (الجيوسى) وفد علينا الاسكلة[3] ، وأقمنا

(١) كانت هذه الزيارة سنوية إلى مقام على بن عليل على ساحل يافا .

(١) هى المقبرة شمالى سراى يافا الآن . والجامع الجديد بنى فى هذا القرن وقد وقف على تعميره الشيخ محمد الخليلى .

(٢) الحرم هو مقام سيدنا على ويعرف بالحرم .

(٣) هى الميناء ، والمقصود يافا .

للجامعة وهى تأخذ طلبتها من أبناء الأزهر وقد توحدت أو كادت البرامج بينها وبين كلية اللغة وتشرف وزارة المعارف على الامتحانات فى كلية اللغة .

أفما كان الأولى أن تضم دار العلوم للأزهر بدلاً من ضمها إلى كلية الآداب فالأزهر أمس بها رحما وأقرب صلة من الجامعة . ألم يكن فى ضمها للأزهر قضاء على المنافسة التى تتجدد بين حين وآخر واستتباب للأزهر بتقوية إحدى دعائمه وحفز للحكومات المختلفة على أن توليه الكثير من العناية لاعتمادها عليه فى تخريج معلم اللغة العربية التى قام بحراستها منذ ألف عام .

وأى شىء للأزهر بعد إنشاء قسم الشريعة ومعهد الفقه ؟ وهل عقم الأزهر أو استعصى على الإصلاح حتى يفكر أولو الأمر فى هذا الانشاء ؟ ولم لم يتجهوا إلى الأزهر ويشتركوا مع رجاله فى رسم خير الطرق لهذه الدراسات . وهل امتنع الأزهر ورجاله عن مشاركتهم ومدارسة الأمور حتى يرسموا لاصلاحه ما ينهض به لمجاراة العصر مع المحافظة على كيانه وطابعه . وأغلب الظن أن المراد بإنشاء معهد للفقه الاسلامى هو العمل على سلب جزء آخر من اختصاص الأزهر حتى إذا ما استوى ذلك المعهد تقرر ضمه للجامعة أيضاً كما ضمت دار العلوم . وبذلك لا يبقى للأزهر من الاختصاص إلا ما يمس دراسة أصول الأديان وطرق الدعوة وهذا أمر هين . وليس بغريب أن نرى عما قريب اقتراحاً آخر بإنشاء هذا القسم وضمه إلى كلية من كليات الجامعة ، وبذلك يسلب الأزهر جميع اختصاصه ولا يبقى لوجوده أى مسوغ ما دامت الجامعة قد قامت برسالته فى فروع مختلفة . وأظن أن هذا تنفيذ لما رسمه الدكتور طه حسين بك فى كتابه مستقبل الثقافة من توحيد البرامج فى الابتدائى والثانوى والاستغناء عن الأزهر بإنشاء قسم للاهوت وإلحاقه بإحدى كليات الجامعة كما هو الحال فى جامعات الغرب وبخاصة فرنسا . وإذا لم يكن تنفيذ هذه السياسة سافراً فظاهر الخطوات المتقدمة توحى بأن العمل جار على تحقيقها إذا لم يتدارك رجال الأزهر الأمر بالعمل السريع على إصلاح الأزهر إصلاحاً عاماً شاملاً يتناول ما يتصل بالمعلم والطالب والكتاب .

(للكلام بقية)

محمد سيد أحمد الشال
مندوب الأزهر لتدريس الشريعة
بكلية المقاصد الاسلامية بيروت

http://Archivebeta.Sakhrit.com ARCHIVE

في الزيارة ليلتين ، وودعنا وسرنا إلى أن دخلنا قرية المذكور (كور) ومنها تعلقت بنا حمى الربع الجالية الأجور ، السابق قضاء وقدر مسطور ، ووصلنا نابلس المحروسة الطلول والدور ، وأقمنا ثلاثة أيام أنسها يمور فلا يفور ، وأتينا (جماعين) ونزلنا المحلة الفوقية ومنها عمدنا (الزاوية) ونزلنا منها إلى دير غسان لإلحاح الإخوان بها ووقفنا على تلك الآثار ، وفي الصحاح وغسان إسم ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه ، منهم بنو جفنة ، رهط الملوك ، ويقال غسان إسم قبيلة . انتهى . وفي لب الألباب في تحرير الأنساب للسيوطي ، الأزدي بفتح وسكون فهملة إلى إزد شنوءة بن الغوث ... إلى إسماعيل وفي اللب ، الغساني بالفتح والتشديد إلى غسان قبيلة من الإزد ، وجد غسان رأس الغسانية من الرجثة ، وبضم أوله إلى غسان بن جذام بطن من الصدف ، قال فيه الصدفي بفتحين وفاء إلى الصدف ، بكسر الدال قبيلة من حمير . انتهى .

وأهلها المقيمون فيها الآن ينتسبون إلى جدهم برغوث (1) ولذا لقبوا بالبراغثة ، وهم مشايخ بني زيد الآن ، وجباة وقف الصخرة والخليل ، في تلك الأوطان ، لكنهم بقلة الحكم وضعف ولاة الزمان جبوا لأنفسهم ، وأكلوا ما للوقفين استبدادا حتى مال منهما القبان ، إلى الخفا بعد الميان ، وتوجهنا إلى (عابود) بلدة سيد الأكوان الداخلة في وقف الحرمين من غابر أوان ، ومنها ختمنا مقابلة (العرائس القدسية) المفصحة عن الدسائس النفسية بحضور إخوان في واديها المصان وعدنا إلى الأوطان ، وسلينا والد المفقود بما أمكن وبشرناه بحلوله جنة الأمان . وأرسلت كتاباً إلى الشيخ محمد المكتبي ، وأرسلت آخر إلى الأخ الأمجد الشيخ أحمد نجل سمية خطيب الخسروية . وكتبت آخر للأخ الحميم عبد الكريم الشراباتي ، وقلت :

سر للمنـــازل يا نديمي   تسق من الخمر القديم (الخ)

ولما دخل شهر ربيع الأول ورد علينا من صديقنا الروحاني الشيخ مصطفى أسعد اللقيمي كتاب يطلب فيه التداني من حينا القدسي ، ويتشوق للقا النفسي الحسي الأركاني ، وطلب كتابة كتاب لوالده نترجى منه الإذن بالسير فأجبته وصدرته بقولي :

راح الحشا والروح والريحان   وصل سما روحاً مع الريحان

وكتبت له ، ولوالده ، طالباً الإذن للولد بالزيارة وأن يعود إن شاء الله في أقرب مدة .

« وقدم علينا الديار عقب هذا المكتوب الصديق القديم الشيخ داود الدمياطي وسألناه عن المكاتبة فأخبر بوصولها ، وأن الأخ المكاتب عن قرب يجوب ، وفي هذه الديار يتملى بالأنوار ولوطنه يؤوب ، ولما عزم على السير إلى الشام ، طلب أجازة ، فكتبت له . ثم ورد علينا من الصديق الشيخ مصطفى كتاب يعلم بقرب الجواز . فأرسلت له كتاباً وقلت :

سلام على أهل وادي الهوى   أناس فؤادي إليهم هوى (الخ)

وأرسلت للصديق السيد أحمد الأدهمي نجل السيد صالح الطرابلسي السمي ، جواباً عن كتابين أرسلهما إلى بحال همي والمذكور له صحبة قديمة محفوظ عهدها أكرى ، في بلده ، وأخرى جديدة تؤذن بعدد نمى في دمياط لما أتيتها والفؤاد معتمي فقلت .

لفتى الصبابة يا سعاد ترحمي   مضنى لغير جمالك لا ينتمي (الخ)

وجواب الكتاب الثاني ، صدرته بقولي .

أيها النفس باختيارك موتي   واخرجي عن ملابس الناسوت

الحمى تنهك الشيخ ، وينظر مولوداً جديداً :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« ولما عادت الحمى في غيها علي ، وزادني كرب عيها الواصل إلي ، ولم يفد فيها بده ساعة دوا ، ولا أنجع قلم له وصف ارتوى ، ورد على الفؤاد وارد ، وهو امتداح جناب الخليفة السيد الممدود سيدي داود ، فقلت غب زيارته يوم الخميس المشهود .

إن قلبي نحو الحظائر نودي   حين فوجي بلمع نور وجودي

إلى أن قال .

فلهذا ناديت والجسم أضحى   ضمن نار كالنار ذات الوقود
يا حبيبي داود كن لي شفيعاً   إن دائي قد كاد يفني وجودي

وقد استجاب الله دعاء الشيخ ثم يقول :

وكان أواخر ذي القعدة الحرام من سنة (١١٤٢ هـ) تبين حمل وفي ذي الحجة عاد كاليقين ، وفي محرم اتضح ذلك الابهام ، وكانت البنية السعيدة الجنانية الفريدة ، بلغت عاماً ونصفاً أو أقل بأيام ، تخفنا عليها النيلة ، لحميناها بالفطام .

وكنت كثيراً ما أسمع قصيدة شيخنا جناب الشيخ عبد الغني (النابلسي) التي مطلعها البسام :

(1) هم آل البرغوثي شيوخ بني زيد ، وبلدتهم دير غسانة ، وهم منتشرون في قرى بيت ريما ، وقداوة ، وكفر عين ، ودير نظام الخ .

يا أشرف الرسل ضاقت فأرسل الفرجا
فإنني فيـــك قـد أملت ألف رجا

فأحببت أن أقتدي بهذا المولى فقلت :

يا سيد الخلق إن القلب مبتهجا أضحى بحبك للتقريب منتهجا

المولود الجديد محمد كمال الدين :

ولما هل هلال شعبان المبارك ، ومضى منه ثلاث ليال ، ولد الولد المحمود محمد كمال الدين وكنيته أبا الفتوح ، منح الرفد التام السعيد إن شاء الله تعالى وتبارك ، أنشأه الله نشوء عبد الله ابن المبارك .

وعندما دخل شهر الصيام كنت أبيض الجزء الثاني من (شرح الورد السحري) . فنجز في يوم الاثنين ختام العشر الثاني من شهر رمضان سنة ١١٤٣ هـ .

قدوم الشيخ مصطفى أسعد اللقيمي الدمياطي الرحالة :

وحين دخل العيد الصغير ، ومضى منه يوم أول وثاني وثالث توجهت لزيارة سيدي داود ، وبت في جوار الخليفة داود ، مع أنفار أمنوا المعار كل خيفة ، وذلك في أواخر القعدة ، لداع دعا للمبيت في تلك الخيام ، وفيــه قدم الأخ الشيخ مصطفى أسعد اللقيمي ، ولما تلاقينا معه بسطنا بساط الباسطة ، واختلينا واجتلينا عرائس الأنس وما بيننا واسطة ، في بيتنا المعمور . ولما أخذ وانتسب وأقبل ما احتجب أقام في خلوة حرمية واستقام في جلوة كرمية ، مشمراً ذيل الاجتهاد ، معمراً اللب بالاستمداد . وكنت في أواسط شوال المبارك ، شرعت في عمارة دارنا الفوقية فتم منها المراد ، ونزلت أشطح معه في السطح الحرمي ، وتارة أسبح ناحية المهد في يم البسط البهمي ، وما برح يتلقى ويستقي سلاف الأسلاف ويسقى ويأتي النزل مجداً لم يهزل ، فنحيك معه ثوب المؤانسة ونغزل ، ونطلب له من ربه الجليل عطاء يجزل بكل بر جميل .

وصف الشيخ مصطفى أسعد اللقيمي لقاءه الشيخ البكري والاجتماع به :

وإننا نترك الآن الشيخ اللقيمي الحسني بسط بن غانم المقدسي السعدي الخرجي يصف لنا في رحلته (كتاب سوانح الأنس برحلتي لوادي القدس سنة ١١٤٣ هـ[1]) إجتماعه بالشيخ البكري ببيت المقدس قال « ثم دخلنا المدينة من باب الخليل ، وجاء الأنس بالسعد لنا دليل ، فنزلنا بمنزل قطب دائرة الأفلاك الحسنية ، وواسطة عقد العصابة الهاشمية ، خلاصة السادة الأشراف ، وصفوة بني عبد مناف ، من قال بحسن سيرته النجوم الزواهر ، وبجميل طلعته البدور النواضر ، الراسخ في العلم الإلهي ، الكاشف عن أسرار الحقائق كما هي أستاذ كل أستاذ وملاذ كل ملاذ ، مولانا السيد مصطفى البكري الصديق قدس الله سره الشريف ، وأسكرنا من كأس خمره الرحيق فبرؤيته وردت على واردات السرور من كل جانب ، وأيقنت ببلوغ المآرب والمطالب ، وعند ذلك جاد الجفن بالدمع وسمح ، لما اعتراه من المسرة والفرح ، فتلقاني بوجه طلق بسام ، وعذوبة لفظ تزري باللآلىء في النظام ، فإن أستاذنا المذكور قدس الله سره الشريف ، بمظهر الجمال في أرفع محل منيف ، مع لطف بلغ غاية الكمال ، وحسن خلق وفضل وإفضال ، فهو النجم إذا هوى ، إنه لجميع المحاسن قد حوى ، وهو الذي يقتدي به المقتدون ، وبسمته يهتدي المهتدون ، وبمحاسن الصفات محلى ، رفع الله له في الملا محلا .

مولى تحلى بالفضائل والتقى وأشاد من طرق الحقيقة ممهدا
ودعى إلى النهج القويم مسلكا لطريقه منهـا شهدنا المشهدا

انتهى كلام اللقيمي » .

وفاة الشيخ عبد الغني النابلسي :

« وفي أوائل شوال ورد خبر وفاة شيخنا الهمام المفضال بركة الديار وشامة الشام جناب الشيخ عبد الغني القدام فشرعت في عمل ترجمة مختصرة على المكاتبات التي كتبتها لجنابه مقتصرة ، وسميتها : « الفتح الطري الجني في بعض مآثر شيخنا الشيخ عبد الغني » ، وعملت في آخرها مرثية مطلعها السني المختوم بالأكؤس الأنسية :

(١) رحلة مخطوطة نفيسة ، نشرت ملخصها في كتابي رحلات إلى ديار الشام ، ولدى الكوات آل مكي في المجدل نسخة اعتمدت عليها . وقد جاء اللقيمي من مصر عبر الصحراء إلى القدس ومنها إلى دمشق قصيدا قبرص وعاد إلى مصر .

سلام على عيش صب هنى   لقد سار مذ سار بدر سنى
ومذ مات بالحى أرخ وهم   لقد عاش بالحق عيشاً هنى

وما زال الأخ اللقيمي المقدم في مدة إقامته التى فيها يتقدم يستعمل أوراداً فيجد أمداداً ويفتح أبواباً شداداً ، فيمنح أحوالا سداداً ، إلى أن قرب عيد الأضحى ، فلقنته الإسم الثانى فصحى غب ، ما خبا انجى ، ونحا التقريب لاحيا للاحى فرحاً ورأيت معه رسالة للحاتمى ، ذكر فيها مبشراته النبوية ، فاقتفيت أثر مناهجه الرضية ، وسميت الكراسة « بالدرر المنتثرات من الحضرات المندية ، في غرر المبشرات بالذات العبدية المحمدية » .

بئر للخلوة البيرمية في الحرم القدسي :

« وكنت قلت للأخ الحاج حسن حي ، لما طلب فى الحرم أثراً ينتج الميرمتنى ، أن الخلوة (البيرمية) تحتاج إلى بئر صغير فانتدبت له طالباً من النصير التيسير ولما أحضرت ما يلزم من الأحجار والجير ، أمرت باحضار ، فعلة لأجل الحفير ، وألهمت أن أشرت بحفر محل معين بمعونة الخبير ، فحفر خندق ، وباشره من حضر من أجير ، فظهرت ثانى يوم مصقاة بئر قديم التعمير ، ثم عثرنا بعد ذلك بفضل القدير ، فتوفر علينا بوجدانه شيء كثير ، ورأينا ما دورته تزيد على الكاس[1] الشهير ، ورفعنا بناءه نحو ثمانية أذرع لجمع الماء النير . ولما رآه شيخنا الشيخ محمد الخليلى ، قال هذه كرامة من غير نكير ، لفلان وعلامة تهوين وتيسير ، وإلا كان يمكنه أن يشير فى الحضير إلى غير هذا المحل لاتساع كبير ، قلت ووقع لهذا التسهيل نظير عندنا فى الدارحال التعمير ، فلم نستر لأجل الستارات الكبا شيئاً بقطمير ، واحتجنا إلى روزنة[2] فى المطبخ لأجل التنوير ، فقال البناء أين أحفر قلت هنا وتوكل على القدير ، فظهرت روزنة قديمة فعجب وقال هذا حال خطير ، قلت بل اتفاقية أبرزها التقدير .

دخول سنة (١١٤٤ هـ) ، الزيارة العليلية ، السنوية وظهور الطاعون ببيت المقدس :

« وعند ما دخل العيد الكبير وتمت بعدها عمارة البير ، بقى من لوازمه المصارة ، وهى تحتاج إلى إتقان ومهارة ، فأحضرت لها ما يلزم ، ووافقنا عليها رجلا على المباشرة عزم ، ولما نوى العام المؤرخ على الرحيل ، ودخلت سنة (١١٤٤هـ) بتكبير وتهليل ، حضرنا بقية الشهر فى المسجد ، وتوجهنا غرة صفر الخير إلى زيارة على بن على ترتجى البر ، وكان حضرنا الأخ الشيخ رضوان الزادى والشيخ ابرهيم العرابى ، وسرنا معهم جملة إخوان منهم الأخ الشيخ مصطفى أسعد [اللقيمي] ، وكانت الحمى الربعية لم تفارق ، لأمر إلهى نوره بارق ، وبتنا فى المقر الشمويلى الأنزه ، وقلت :

ألا أيها الطلاب سيروا إلى اللقا   عسا كم به تسقون كأساً مروقا

وتوجهنا على بنى حمار[1] ومنها إلى (سبطاره) التى تشن العرب حولها الغارة ، وجلسنا فيها مع الأخ اللقيمي نتذاكر بأنس يأتى بكل قربة خير . وكان الأخ المذكور أثر فيه برد البلاد فتغيرمزاجه وفى (بازور) زاد ، وتوجه بصحبة شريكه النجار إلى (يافا) ولحقناه فيها بتصافق ، ثم سرنا منها إلى المقام العليلى الندى ، وورد علينا فيها الأخ الحاج حسن القدسى ، وبعض مضى أوقات الزيارة ، سبقنا الأخ اللقيمي لوادى نابلس الفياح وتنقلنا إلى أن وصلنا (كور) والقلب مشتغل ، والفكر فيه بالحى فتور ، وجاءنا الخبر أن الشيخ عبد الرحمن السمان جاء نابلس للزيارة القدسية وصحبته المنلا عباس تلميذ شيخنا المرحوم المنلا الياس المتوفى سادس عشر شعبان سنة (١١٣٨هـ) . ثم أن ورد علينا يمن معه (كور) ، وعدنا جميعاً إلى نابلس فى حبور ، وبعد ثلاثة أيام من الإقامة فيها ودعنا الأخ اللقيمي وبقية الأحباب وسرنا إلى (جماعين) . ورأى جامعها السمان فسر به وقال إنه وعهد واف لجامع فى قاف ، لكن ذلك كبير واسع وماؤه فيض له هتان . قلت له : أتدرى إمامه الذى فيه يصلى مغره يصان . قال : نعم ، رأيته والقوم كلهم له فى ذى المقام . ثم عدنا للديار المقدسة ، وبقى خاطرنا عند الأخ اللقيمي ، وجاءنا الخبر بتوجهه إلى وطنه الصبيب (أى مصر) . وكان ورد البلاد العالم الفاضل المراد الشيخ عقيلة المكي الوطنى اليمنى الأصل والمولد ، يوم الخميس من شهر ربيع الأول الأنيس ، واجتمعت به فى منزله للسلام ، وحضرت درسه العام باستسلام ، وأخبر عن تأليفه الإحسان . ولما أوقفنى عليه قرظته :

يا راقياً لمدارج الإحسان   أحسنت فى الإحسان بالإحسان

(النهاية فى العدد القادم)   **أحمد سامح الخالدى**

(١) نقاء يقع شرقى الرملة قاعدته بلدة « نعلين » .

(١) هو بركة فى وسطه ما يشبه الكاس بين المسجد الأقصى والصخرة حيث يصب فيه الماء فى برك سليمان .

(٢) الروزنة هى النافذة المطلة على الطريق وقد علاها قضبان من الخشب أو الحديد لمنع الكشف .

في موكب العيد :

من وحي اللاجئين

للأستاذ إبراهيم الوائلي

لكم العيد نعيماً وهناء ولنا العيد جحيماً وشقاء
لكم العيد كأنفاس الضحى ألقا يبسم حسناً وبهاء
ولنا العيد ظلاماً دامساً لم نطالع فيه للفجر ضياء
لكم العيد نشيداً ورؤى وأهازيج ولحناً وغناء
ولنا العيد حنيناً وأسى ومناحات وشجواً وبكاء
لكم العيد ابتهاجاً ومنى ضاحكات وانطلاقاً وازدهاء
ولنا العيد قلوباً ذوبت فأذالتها مآقينا دماء
لكم العيد قرى فارهة وبيوتاً تملأ النفس رجاء
ولنا العيد تهاويل دجى تبعث الرعب صباحاً ومساء
نحن ما نحن أفي أوطاننا نلبس التشريد والذل رداء ؟!
نحن ما نحن أعن تربتنا للطريدين غدونا طرداء ؟
الطفولات عراها ما عرا من أذى اليتم ولم تلق عزاء
والأيامى وسلوا تاريخها هل أباحت لسنا الشمس سناء
هيمن الثكل عليها ومضت تعبر البيد وتطويها حفاء
هي بالأمس ترى سيدها حارس البيت كما شاءت وشاء
وهي اليوم تراه شبحاً أثم ، التربة واشتاق الثواء
كلما نادت به لم تستجب غير دنيا الفقر للثكل نداء
زمر باتت على مسغبة تحصد الشوك وتقتات الغثاء
فيتيم أفلت اليتم به من وحوش ملئوا الليل عواء
وفتاة أسندت راحتها طفلة تبكي وأماً نفساء
ورضيع كلما اشتد به ألم الجوع احتسى الدمع غذاء
لم يجد في الثدي — إذ يلمسه بيد واهنة — إلا ذماء

* * *

لكم العيد مروجاً تزدهي ونسيماً في مجاليها رخاء
ولنا العيد رمالاً تلتظي وأعاصير وشوكاً وعراء
لكم العيد تضحون به ما تشاؤون من الضأن فداء
ولنا العيد وما فديته غير أحرار تفانوا شهداء
كتبوا تاريخ جيل ثائر ما ونى يوماً ولا ارتد وراء
واستجابوا لأماني وطن كافح الظلم وداس الكبرياء
البطولات وما أعظمها قد خبرناها رجالاً ونساء
والميادين وكم قد حجبت بدخان الثورة الكبرى سماء
قد ولدنا نحن والحرب معاً واحتملناها فلم نشك العياء
وخضدنا شوكة (البغي) التي غرستها (لندن) في الشرق داء
وتسابقنا فلم نخش الردى يوم أن ثرنا ولم نحذر فناء
ثورة الشرق وما ازدادت لها شمل إلا ازداد مضاء
أيها التاريخ هذي صفحة سوف تطويك خلوداً وبقاء
قد كتبناها ولكن بدم ونشرناها على الدهر لواء
ونضال طال لكن ما رأى غيرنا فيه الضحايا الأبرياء
عبر الوحش فألفى تربة خصبة المرعى وأفياء وماء
ومضى يكرع ما شاء وقد كان يشكو في المتيهات الظماء
وعلى (المانش) يد عاتية كلما أوغل زادته احتماء
يد (جنبول) ويادنيا اشهدي كم أساءت يد جنبول وساء
هذه التربة ماذا كابدت منذ أن كانت تقل الدخلاء
صيروها مزقاً خاوية وأحالوها عظاماً ودماء
فإذا نحن حيارى فزعاً نستجير البيد والقفر الخلاء
ونرود الماء لكن ما نرى غير أوشال فنرتد ظماء

* * *

أيها العدل سلاماً فلقد صيروا عهدك في الكون هباء
ملأوا العالم رعباً ومضوا يدعون الحق كذباً ومراء !
فإذا (الأمن) خيال كاذب وطيوف تتجافانا ازدراء
جفت الأرض من الري فيا خالق النبتة أمطرها السماء

(القاهرة) ابراهيم الوائلي

اطلب كتاب
دفاع عن البلاغة

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

سر الحاكم بأمر الله :

مسرحية تاريخية ، ألفها الأستاذ على أحمد باكثير ، وأخرجها الأستاذ زكى طليمات ، ومثلتها الفرقة المصرية على مسرح الأوبرا فى مفتتح موسمها التمثيلى . وتدور القصة حول الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى ، وتصور شذوذه وغرائب أفعاله ، والحادثة الهامة فيها أو « العقدة » هى ادعاء الحاكم بأمر الله الألوهية ، وقد تخيل المؤلف — لكشف سر هذا الادعاء — أن « المجمع الفارسى » بعث جماعة على رأسهم رجل اسمه حمزة الزوزنى ، للعمل على هدم الدين الإسلامى فى مصر ، فراقب حمزة الحاكم حتى ألم بأحواله وعرف أنه يروض نفسه على الحرمان من طيبات العيش والتخلص من الرحمة وسائر العواطف الإنسانية التى يسميها ضعفاً بشرياً ، فيتصل به ويوهمه أنه إله ويستعين على ذلك بتلفيق كتاب يدعى حمزة أنه مخطوط قديم ورثه عن آبائه ، وينبئ الكتاب بظهور ملك فى مصر يحل فيه روح الله ، وتنطبق أوصافه على الحاكم بأمر الله ، فيضطرب الحاكم أولا ثم يقتنع بأنه إله ، ويتخذ حمزة رسولا له . وتسير الحوادث على هذا الخط حتى يفتضح أمر الفارسى بوقوع رسالة آتية إليه من المجمع الفارسى فى يد الحاكم بأمر الله ، فتتكشف له الحقيقة ويكفر بنفسه ..

ويبدو المتأمل أن المؤلف لا يريد بيان سر الحاكم بأمر الله ، وإنما يرى إلى تحليل شخصيته ، فتخيل خداع الفارسى للحاكم لا يتجه إلى حقيقة تاريخية ، من حيث إبداء رأى تاريخى فى الباعث للحاكم على ما كان منه ، وإنما هو حبكة مسرحية غايتها خلق المواقف وترتيب الحوادث للوصول إلى تصوير هذه الشخصية الغريبة وبيان ما أحاط بها ، واستغلال كل ذلك فى تقديم فن ممتع .

هذه هى غاية القصة كما أفهم ، وقد وصل فيها المؤلف إلى درجة لا بأس بها ، فقد صور الصراع بين الحاكم بأمر الله وأخته ست الملك ، وصور الصراع بين الحاكم وبين نفسه ، ووجه طاقته إلى إبراز الأحاسيس وخوالج النفوس ، فنجح فى كل ذلك ، وإن كنت ألاحظ أنه عزز جانب الألوهية وقوى حجة ما سماه التخلص من الضعف الإنسانى ، فأظهر — مثلا — الحاكم بأمر الله فى ذبحه الغلام بمظهر الفيلسوف المنطقى ، وكان لابد من عمل شيء للسخرية من هذا المنطق . ومن ذلك أيضاً الحجة الدامغة التى أجراها على لسان حمزة الزوزنى عند ما رد على الرجل الذى اعترض على الحاكم لأنه يسأله ويجب أن يكون عالماً بما يسأل عنه إن كان إلها حقاً ... رد حمزة بأن الله يسأل عباده يوم القيامة عما فعلوا بدنياهم وهو عالم به !

وما هو « المجمع الفارسى » الذى يعمل لهدم الإسلام فى مصر ؟ أليس إبهامه فى الرواية يوهم بأنه كان هيئة رسمية فى الدولة الفارسية الإسلامية ! ؟ .

وحقاً إن الشعب المصرى كان إذ ذاك ضعيفاً مسكيناً مسالماً ، ولكن لم إبراز ذلك على المسرح والتنويه به على أنه صفة دائمة له وفضيلة راسخة فيه ؟

وتنتهى المسرحية بختام يبدو غير طبيعى ، فإن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله التى كانت تقاوم جبروته وتعمل على أن ترده إلى صوابه ولما يئست منه دبرت قتله — تلتقى به فى خلوته بجبل المقطم فيجرى بينهما حوار يبدى فيه الحاكم ندمه ويستغفر ربه ويطلب منها الصفح عما بدر منه فى حقها ، وكان هذا يقتضى أن ترق له وتحول دون تنفيذ القتل بعد ما بان لها صلاح أمره . ولست أدرى هل المؤلف هو الذى جمل الحاكم يصحح موقفه أمام أخته ثم تقتله ، وهى عنصر خير فى الرواية ، أو حدث تعديل هذه النهاية فى الإخراج ليكسب يوسف وهبى (ممثل الحاكم) محبة الجمهور وعطفه ... ؟

ويدل الإخراج والتمثيل على الكفايات المختلفة التى تضمها الفرقة المصرية الآن ، وقد أعجبنى بل أطربنى أن ممثلى الفرقة ينطقون اللغة العربية نطقاً طبيعياً كأنها اللغة اليومية العادية ، فلا تكلف إلقاء ولا نبرات خطابية ولا تعثر فى التلفظ ، وهذا شيء آخر غير

النطق السليم فلا تخلو الحال من بعض الخطأ في الضبط مما لا يسلم منه لسان . وقد أثبتوا أن الفصحى هى لغة المسرح الراقي وأنها تفي بكل أغراضه حتى التهكم والتفكه ، مما يزعم بعضهم أنه لا يؤدى إلا بالعامية ، وقد برع فؤاد شفيق فى ذلك حتى تكاد عربيته تقطر ظرفاً وفصاحة . أما رنين جرس العربية على ألسنة الممثلات فهو المطرب حقاً . ولله در أمينة رزق ! فهى عروس هذه المسرحية ، وقد أدت دور «ست الملك» فأجادت فى مواقفه المختلفة ، وخاصة عندما دخلت على الحاكم مع قواد الجيش، وطعنها الحاكم فى شرفها ، فمثلت الانفعالات النفسية أدق تمثيل . وأعتقد أن أمينة رزق أجدى على اللغة العربية من المجمع اللغوى ! وهى فى ذلك قوة لا يستهان بها ولا تقل عن أم كلثوم فى غناء شعر شوقى .

وقد تعاون المؤلف والممثل (يوسف وهبى) فى تصوير شخصية الحاكم بأمر الله وتحليل نوازعه . وقد تحول يوسف وهبى فى هذه المسرحية ، عن طريقته المعروفة ، تحولا محسوساً ، وذلك لطبيعة الدور ، فهو يمثل شخصية جبار متأله يتكلم فى رقة ممزوجة بالاستخفاف لأنه يملك كل شيء ولا يحتاج إلى العنف والتهريج ، وقد كان يوسف وهبى يكتسح ويتغلب بالكلام والصياح ، أما الآن فهو يطيح بالرؤوس ويزهق الأرواح وهو هادىء وديع رقيق ، ولماذا يصخب وهو القادر على كل شيء ؟! وهذه هى طبيعة الموقف ولا شك . ولكن لم لم يستخدم يوسف وهبى أو الحاكم بأمر الله قدرته فى « تكبير » الممثلة الفتاة التى مثلت « أم الحاكم » ؟ لقد كانت تسرع إلى حضنه رشيقة لفاء خفيفة الحركة .. له فى ذلك حكمة !

والغلام الذى أتى به إلى الحاكم ليذبحه فى أثناء رياضته للتخلص من الضعف البشرى — لم يكن يشبه ابنه علياً كما اشترط ذلك إمعاناً فى الرياضة ، ولم يكن يشبهه تمام الشبه كما قال عندما شاهده . وأظهر فرق بين على وبين الغلام (مرجان) أن الأول أبيض والثانى أسود فاحم ؛ وقد مثل الاثنين بنتان ... وكان صوت على صوت بنت هى التى مثلته .

وثمـــة كلمة أخيرة يقتضيها إنصاف المؤلف ، فقد نشرت الإعلانات عن الرواية بالصحف والمجلات وعلقت بالجدران ، وأظهر ما فيها اسم يوسف وهبى وصورته فى دور الحاكم بأمر الله ثم اسم زكى طليمات مخرج الرواية . أما المؤلف فلم يبد اسمه إلا فى بعض الإعلانات ... فى الآخر و بـ (بنط) صغير ... حتى الإذاعة ... لما أذاعت الرواية لم تكتب فى برنامجها اسم المؤلف !

وأذكر أن يوسف وهبى أعلن أنه يمد يده إلى الأدباء ليعاونوه بالتأليف على النهوض بالمسرح ، فهل هو يمد يده إلى الأدباء ليبتلع إنتاجهم ويطوى أسماءهم ، ويأكل لحمهم ويرمى عظامهم ؟ ...

ذكرى الزين :

فى مثل هذا الأسبوع من العام الماضى توفى الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين . وطالما لقيت هذا الصديق الفقيد فى خلال هذا العام ...

نعم ، لقيته ولا أزال ألقاه فى كل مكان صاحبته فيه ، وعند كل ما يذكرنى به . تحوم ذكراه على نفسى ، فآنس بها ، وأستوحش لبعده البادى أنساً ووحشة مجتمعين ... وكثيراً ما أتمثله يحدثنى حديث المحلق فوق الحياة ، الساخر من سخف الأحياء وتفاهة مراميهم ، ولا أكاد أجد ما أحدثه به ، إذ أراه واقفاً على كل ما هنالك ... وأستغرق فى هذا الشعور(١) حتى تنجلى عنى الذكرى لأمر مما يشغلنى ، فأنصرف إلى ما أنصرف إليه وفى نفسى من الأسى طعم شديد المرارة !

كنت أسير فى يوم من الأيام الماضية بشارع يقع فيه منزل رجل من الأعلام ممن كان الزين يسعى لزيارتهم مدفوعاً بدافع الصداقة ، وإذا هو كأنه يسير بجانبى وقد أحطت ذراعه بذراعى ، وكأننا نقصد منزل ذلك العلم كما كنا منذ سنوات . ولكنه يقول لى : لا . لن نزوره ، قلت فيه شعراً ، ثم تقطعت الأسباب !

وبهذا الإيجاز أدرك مايعنى ، فقد كان الزين يحرص على مودة أصدقائه من أهل الفكر والأدب ، وكان ينفق عليهم من شعره وهو الضنين به على غيرهم من ذوى الجاه والسلطان ، وكانوا يحتفون به ويحسنون استقباله ... ثم مضى . ومضى معه كل

---

(١) وضح لى هذا الشعور الذى كان غامضاً فى نفسى ، بعد قراءة ما كتبه الدكتور طه حسين بك بكتابه « رحلة الربيع » فى الحديث عن ذكرى صديق لم يسمه ، وقد فهمت أنه الشيخ مصطفى عبد الرازق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شيء ... تقطعت الأسباب !

ومضى عام ولم يوف حقه من تأبين ورثاء ، ولم يطبع ديوانه المخطوط ، ولم يصنع لليتيم شيء ذو بال . ولم يكن للزين ذنب إلا أنه كان شاعراً كبيراً ، وكان موظفاً (باليومية) في دار الكتب المصرية ، وقد ظل بها أكثر من عشرين عاماً يخرج لها وللناس كتب الأدب مصفاة دانية القطوف ، فلم تفكر هذه الدار في أن تصنع له شيئاً ، ولم يكن أقل من حفل للتأبين أو للاحتفاء بذكراه بعد مرور عام على وفاته .

والديوان المخطوط قررت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعه بالمجان لابن الشاعر الفقيد ، وراح الصديق الوفي الأستاذ ابراهيم الابياري يطلبه ، فوجد أن أخاه الشيخ محمد الزين قد أخذه ، فاتصل به وأبلغه قرار اللجنة ، فوعد بتسليمه ولا يزال لديه إلى الآن .

وفي الديوان قصائد لم تنشر ، وفيه قطع خفيفة سهلة في «الساعة» و «المنبه» وما ماثل ذلك ، وهي قطع رقيقة فيها وصف دقيق وتعبير طريف ، فهي من أحسن ما يقدم لتلاميذ المدارس .

ويسرني أن أذكر أن في وزارة المعارف الآن (استمارة) لإعفاء أسامة أحمد الزين التلميذ بإحدى المدارس الابتدائية من المصروفات المدرسية . وسترسل مذكرة إلى مجلس الوزراء بالموافقة على تعليمه بالمجان في جميع مراحل التعليم . وهي تحية طيبة من معالي السنهوري باشا لذكرى الشاعر الكبير .

من طرف المجالس :

نحن اليوم مع جماعة من الأدباء أغشى مجلسهم في بعض الأحيان بإحدى القهوات الكبيرة . وأكثر ما يكون حديثهم عن الأشخاص في نواحي النقص التي ينفذون إليها فيمن يتحدثون عنه ، وكثيراً ما يكبرونها على طريقة «الكاريكاتير» وعدتهم في هذا التكبير أو هذا التشنيع ألسنة ذلقة حداد .. ولا يعفون من لواذع هذا «الفن» صاحباً غائباً ولا جليساً قام فمضى .. وإنه ليخيل إلي وأنا منصرف عنهم وقد صرت في الطريق أني أسمع ما يقولون عني . وأذكر من كان يحدثنا أنه طلب إليه أن يكتب مقالات لإحدى الصحف الكبيرة ، وألح عليه صاحب الصحيفة ، فكتب مقالتين دفع إليه لقاءهما عشرة جنيهات . . وانصرف المتحدث ، فقال واحد من الجماعة : إني أشك في صحة هذا الذي قال . فتحفز آخر للكلام ، وخلته قد تحمس للغائب ، وإذا هو يقول . إني أجزم بأن فلاناً (صاحب الصحيفة) لا يعرفه !

وأصغيت مرة إلى أحدهم يتحدث عن شاعر من «أصدقائه» بأنه تزوج فتاة من غير مهر ، وأراد المتحدث أن يعبر عن انخداع الفتاة فقال إنها اغترت بما في شعره من ألفاظ كالظلال .. والحرور . . . ومدّ ألف الظلال وواو الحرور حتى خلتهما يصلحان مهراً ...

وفي الجلسة الأخيرة « وقع » ذكر شاعر « صديق » فقال قائل : تصور أنه تغزل في امرأته ! وقال آخر : حسبك . . إنه ليس شاعراً ، وقال شاعر من الحاضرين : أنا قد هجوت زوجتي ! وأنشد ما قال وفيه إقذاع ، فقالوا : هذا هو التعبير الصادق ، وهو الشعر لا ذلك الزيف . وروى أحدهم أن أعرابياً سئل : كيف بغضك لزوجتك ؟ قال : تكون بجانبي وتمد يدها على فأود لو أن آجرة خرت من السقف فقدت يدها وضلعاً من أضلاعي !

ثم قال الأول : أتدرون كيف يتغزل الشاعر في زوجته ؟ إنه يتغزل فيها كما يحرص على ألا يسهر في الخارج ويعود إلى المنزل متأخراً .. وإن كان بالأول يستجلب العطف ويتقي بالثاني سوء العاقبة ...

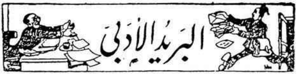
ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

استقبال عضوين جديدين في المجمع اللغوي :

انتخب مجمع فؤاد الأول للغة العربية في دورته الماضية ، عضوين جديدين بهما الأستاذ محمد رضا الشبيبي عن العراق مكان المغفور له الأب أنستاس ماري الكرملي ، والأستاذ خليل سكاكيني عن فلسطين ولم تكن ممثلة من قبل في المجمع فروعي أن يحل عضو منها محل المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق .

وقد قرر المجمع أن يحتفي باستقبال العضوين الجديدين في حفلة افتتاح مؤتمره السنوي ، وهو الذي يحضره الأعضاء الأجانب من شرقيين وغربيين ، وسيكون ذلك في اليوم السابع من ديسمبر القادم ، وسيقدم الأستاذ العقاد الأستاذ الشبيبي ، ويقدم الدكتور منصور فهمي باشا الأستاذ سكاكيني ، ويتناول كل منهما صاحبه بتعريف ودراسة شاملة . ويتحدث كل من العضوين الجديدين عن سلفه ، وقد أرسل المجمع إلى كل منهما بذلك .

عباس خضر



بين توفيق الحكيم وقرائه :

تحت هذا العنوان تلقيت عن طريق مجلة الرسالة إحدى الرسائل التى تحمل توقيع «عبد الحميد فاضل المحامى» ، ولقد تفضل المحامى المهذب فخصنى بفيض من التجريح الرخيص بمناسبة المقال الذى كتبته فى عدد مضى من الرسالة عن الأستاذ توفيق الحكيم !.. أما نص الرسالة التى وجهها إلى فأنا على استعداد لنشرها والتعقيب عليها ، ولكننى أود قبل أن أقدم على النشر والتعقيب أن يتفضل الأستاذ المرسل بذكر عنوانه الذى تعمد أن يغفله ، لأننى أشك فى أن يكون له فى نقابة المحامين مكان !

إن مما يضاعف من شكى فيما ذهبت إليه أن الرسالة التى وجهها إلىّ مكتوبة على الآلة الكاتبة وليس بها من خط يده غير توقيعه ... ولقد عودنا المحامون أن تحمل رسائلهم أسماءهم مطبوعة وإلى جانبها عناوين مكاتبهم وأرقام التليفونات ، ولكن هذه الرسالة العجيبة تخلو من هذا كله خلواً مقصوداً يثير الظنون !..

وليصدقنى القراء إذا قلت لهم إننى تعودت أن ألقى كل ما يكتب بحس الناقد قبل أن ألقاه بحس القارىء ؛ ومن هنا فقد قرأت هذه الرسالة الريبة مثنى وثلاث ورباع ... ويخيل إلى أننى وصلت من وراء أسلوبها إلى أشياء هزت جوانب اليقين فى نفسى ، من ناحية أن يكون مرسلها هو صاحب هذا التوقيع !.. مهما يكن من شىء فأنا أرجو أن يتفضل الأستاذ المحامى بذكر عنوانه لأتحقق من شخصه ، وإذا لم يفعل فأغلب الظن أن هذه الرسالة من أديب تخلت عنه الشجاعة حين راح يخاطبنى من وراء الأسماء المستعارة !

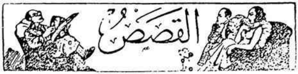
هل يستطيع المحامى أن يذكر لى عنوانه حتى لا أذهب فى الظن إلى أنه ذلك الأديب المعروف ، الذى يستطيع كل متذوق للأساليب الأدبية أن يحكم بأن هذا هو أسلوبه ؟!.. وسواء أكان الذى كتب إلى هو ذلك المحامى الذى لا أعرفه أم ذلك الأديب الذى يخيل إلىّ أننى قد عرفته ، سواء أكان هذا أم ذاك فأنا أستحلفه بحق الشجاعة الشهيدة أن يواجهنى بحقيقة شخصه لأستطيع أن أنشر رسالته وأعقب عليها .

أنا فى انتظار شىء من الضوء يبدد هذا الظلام ... ومعذرة ، فقد تعودت أن ألقى خصومى فى وضح النهار !

أنور المعداوى

وزارة المعارف العمومية
مكتب السكرتير العام
إعــلان
وزارة المعارف فى حاجة إلى كتبة لأقلام التوريدات بالقاهرة والأقاليم من الحاصلين على شهادة التوجيهية أو دبلوم التجارة المتوسطة .
وعلى الراغبين فى هذه الوظائف أن يقابلوا حضرة السكرتير العام للوزارة بديوان الوزارة فى الساعة العاشرة من يوم الخميس ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٨ ومعهم مسوغات التعيين وهى :
١ — طلب استخدام (استمارة ١٦٧ ع . ح)
٢ — الشهادة الحاصل عليها الطالب والاستمارة البيضاء الدالة على نجاحه
٣ — شهادة الميلاد
٤ — شهادة بحسن السير والسلوك
٥ — شهادة الجنسية .
ويشترط أن لا يزيد سن الطالب على ٣٠ سنة ويفضل عند التعيين من كان له معرفة بالكتابة على الآلة الكاتبة .
٥٨٧

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



المهـــــرج

للكاتب الروسى ماكسيم جوركي

كانت النافذة المستديرة المرتفعة لزنزانتى تطل على فناء السجن . فإذا ما نظرت منها بعد أن أعتلى منضدة بجوار الحائط ، أشاهد كل ما يحدث فى هـذا الفناء ، وأراقب الحمام يبنى عشه على الحافة العليا من النافذة ، وأسمع هديلا يتعالى فوق رأسى . وكان لدى من فسيح الوقت ما يسمح لى بالتعرف على نزلاء السجن كلما أطللت عليهم . وهـكذا عرفت نوتش أكثر السجناء مرحاً . كان رجلا وسطاً ، ضخم الجثة ، أحمر الوجه ، عريض الجبهة ، براق العينين ، يرتدى قلنسوة على مؤخرة رأسه ، وقد التصقت أذناه على جانبي وجهه فى شكل يلفت الأنظار . وكانت كل حركة من حركات جسمه تبين فى جلاء أنه يمتلك روحاً لا تبالى بالكآبة أو الحزن . لقد كان دائم المرح ، كثير الضحك ، محبوباً لدى رفاقه ، يحوطونه فيمازحهم بمختلف الدعابات ، ويضفى على أيامهم الباهتة ، جواً من البهجة والسرور .

وفى ذات يوم خرج نوتش من زنزانته وقت النزهة وقد قيد ثلاثة جرذان بخيط ، وجعل يعدو وراءها فى الفناء وكأنه يقود مركبة . فاندفعت الجرذان وقد أرعبها صياحه ، اندفعت منطلقة فى ذعر وجنون . وضج السجناء بالضحك يشاهدون ذلك الرجل البدين وهو يقود « مركبته » .

كان نوتش يعتقد أنه ما خلق إلا ليجذب إليه الأنظار . وكان لا يعوقه عائق ما فى سبيل ذلك . لقد استطاع ذات مرة أن يلصق شعر أحد السجناء بالغراء بحائط الفناء . كان السجين صبياً مستلقياً على الأرض بجوار الحائط وقد أخذته سنة من الكرى . وعند ما جف الغراء ، أيقظه نوتش فجأة ، فهب الصبى من نومه مذعوراً وقام على قدميه ، ثم أمسك رأسه بيديه المتخاذلتين ، وأخيراً سقط على الأرض يبكى . وقهقه السجناء من ذلك المنظر وابتسم نوتش فى رضاء . ولكنى شاهدته بعد أن ابتعد رفاقه يرفه عن الصبى ويطيب خاطره .

وكان هناك هر سمين نحاسى اللون ، محبوب لدى السجناء ، ومدلل منهم . ينتهزون وقت نزهتهم اليومية فيداعبونه فترة طويلة ، ويمر الهر من يد إلى أخرى ، ثم يعدون وراءه ، ويدعونه يخدش أيديهم وأرجلهم وهو يلاعبهم .

وكان الهر محط أنظارهم عندما يبدو فى الفناء ، فيوجهون إليه اهتمامهم وينسون نوتش ومهازله . وكان نوتش إذا ما رأى ذلك يجلس فى ركن من الفناء يراقبهم وهم فى غفلة عنه . وكنت أشاهده من نافذتى وأشعر بما يختلج فى صدره من شعور وأحاسيس ، فأعتقد أنه سيضطر إن عاجلا أو آجلا إلى قتل ذلك الحيوان عند أول سانحة تسنح له . ولذلك كنت آسفاً عليه . إن رغبة الإنسان فى أن يكون محط الأنظار غالباً ما تصبح وبالا عليه . فإنه لا يوجد ما يقتل الروح كتلك الرغبة فى إدخال السرور على النفوس .

إن أتفه الحوادث عندما يكون المرء وحيداً ، منفرداً ، حبيساً فى سجن ، لتسترعى انتباهه ، فيوليها اهتمامه . ولذلك كان من السهل أن تفهم سبب اهتمامى بما أتتبعه من حوادث من وراء نافذتى ، وتلهفى إلى معرفة نتائجها .

وفى ذات يوم صفت سماؤه ، اندفع السجناء إلى الفناء . فلاحظ نوتش دلوا به طلاء أخضر ، كان قد تركه من يقومون بطلاء سقف السجن . فتوجه إليه ، وحام حوله ، ثم غمس أصبعه فيه ، ثم صبغ شاربه بالطلاء . فأثار منظره ضحك السجناء . وعمد صبى من الزمرة إلى تقليده ، فجعل يدهن شفته العليا . وإذا بنوتش يغمس يده كلها فى الطلاء ويصبغ بها وجه الصبى ، ثم جعل يرقص حوله . وضج السجناء بالضحك وهم يشجعون نوتش فى صيحات تدل على رضائهم عما يفعله .

وفى ذات اللحظة أقبل الهر يتهادى فى الفناء وقد رفع ذيله غير هياب ولا وجل ، وسار بين أقدام الحشد المتزاحم حول نوتش والصبى الذى كان يحاول أن يزيل ما علق على وجهه من طلاء .

فصاح أحدهم — أيها الرفاق ، إن ميشكا هنا !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وصاح آخر — آه أيها الأفاق الصغير !

ثم أمسكوا به ، وصار في أيديهم الواحد تلو الآخر وهم يربتون على ظهره . .

وقال أحدهم — انظروا كم هو سمين !

— وكيف ينمو بسرعة !

— إنه يخدشني . يالك من شيطان صغير !

— أتركه . دعه يثب .

— سأحني ظهري له . إقفز يا ميشكا .

ونسوا نوتش ، فوقف وحيداً يمسح الطلاء العالق على شاربه ، وينظر إلى الهر يقفز على أكتاف زملائه . أخيراً قال في نبرات تشوبها رنة التوسل والرجاء — أيها الرفاق ، دعونا نطلي الهر .

فصاح واحد — ولكنه يموت .

فقال — من الطلاء ! ؟ هراء !

فقال رجل عريض الكتفين ذو لحية حمراء — يالها من فكرة غريبة ! إنك لشيطان حقاً !

ولم ينتظر نوتش موافقتهم ، بل حمل الهر بين يديه وسار به نحو الدلو وهو ينشد أنشودة مضحكة يصف فيها الهر . وابتسم السجناء وابتعدوا يفسحون له طريقاً . وشاهدته وقد أمسك بالهر من ذيله ثم غطسه في الدلو وهو يرقص وينشد . وقهقه الجميع ، واهتزت الأجسام ، وأصابت القوم عاصفة من الضحك أوصلتهم إلى حالة من الجنون . وأطل النساء السجينات من جناحهن يبتسمن ، وشاركهن الحراس في الضحك . وأخيراً صاح ذو اللحية الحمراء — كفى أيها الرجل . فليأخذك الشيطان !

وازدادت حماسة نوتش بعد أن التف حوله رفاقه ، وبعد أن أصبح محط أنظارهم ومبعث سرورهم . وغمر المكان ضحكات جنونية كانت الشمس تضحك وهي تشرف على البناء ، والسماء الزرقاء تبتسم فوق السجناء ، وحتى الجوائط القذرة فقد بدت وكأنها مبتهجة بما كان يحدث في الفناء . وافترت ثغور النساء فتلألأت أسنانهن تحت أشعة الشمس . وانزاح ذلك الفتور القابض الذي كان يبعث في المكان جواً من السأم والملل ، وأصبح مشرقاً تتردد في أنحائه صدى الضحكات .

وأخيراً وضع نوتش الهر على الأرض ، ثم واصل مرحه وهو يلهث والعرق يتصبب منه ، وشيئاً فشيئاً تلاشى الضحك بعد أن تعب السجناء منه ، وأخيراً ران على المكان الصمت ، لا يقطعه إلا صوت نوتش وهو ينشد ويرقص ، ومواء الهر وهو يزحف على الحشائش ، ويتعثر في سيره بأقدام مرتعشة ، ويقف بين الفينة والفينة كأنما التصق بالحشائش الخضراء التي أصبح من المتعذر تمييزه عنها .

وصاح ذو اللحية الحمراء — ما الذي فعلته أيها الوحش ؟

وتطلعت إلى نوتش الأنظار شزراً . وصاح الشاب وهو يشير إلى الهر — أنه يموء . فجملوا يراقبونه في صمت .

وقال آخر — أيظل أخضر اللون بقية حياته ؟

فأجاب رجل ممشوق القامة أشيب الشعر وقد اقترب من ميشكا — أنه جف في الشمس ، وسيلتصق شعره ، وسيموت .

وظل الهر يموء فيثير بذلك شفقة السجناء ؛ وسأل الصبي قائلا — أيموت ؟ ألا نستطيع أن ننسله ؟ فلم يفه أحدهم بكلمة . كان الهر قد ارتمى تحت أقدامهم عاجزاً عن التحرك . وتهالك نوتش على الأرض وهو يقول « لقد غرقت عرقاً ! » ، فلم يأبه أحد . وانحنى الصبي على الهر وأخذه بين ذراعيه . ولكنه سرعان ما ألقاه على الأرض وهو يقول — إنه ساخن جداً . ثم نظر إلى رفاقه وقال في حزن — مسكين يا ميشكا ! لن يكون هناك ميشكا بعد اليوم . لماذا تودون قتل ذلك المسكين ؟

فقال ذو اللحية الحمراء — لعله يتغلب على الموت .

وواصل الهر زحفه على الحشائش تراقبه أعين عشرون . ولم يبد على وجوه القوم أي أثر لابتسامة . كانوا جميعاً صامتين واجمين في حزن كأنما اتصلت بهم آلام الهر وشعروا بما يشعر به من عذاب.

وقال الصبي — لا أظنه يتغلب على الموت . هاك ميشكا الذي كنا نحبه . لماذا تعذبونه ؟ أنه لمن الأفضل وضع حد لآلامه .

فقال السجين ذو الشعر الأحمر غاضباً — ومن الذي فعل ذلك ؟ أنه ذلك المهرج . ذلك الشيطان . فقال نوتش محاولا أن يهدىء من ثائرتهم — ألم نشترك سوياً في ذلك الفعل ؟ ثم احتضن نفسه كأنه يشعر بالبرد .

فقال الصبي ساخراً — كلنا ! عظيم جداً ! إنك وحدك اللوم ،

فحذره نوتش قائلا — لا تهدر أيها الثور !

والتقط السجين الكهل الهر وجعل يتفحصه جيداً ثم اقترح قائلا — ألا نستطيع إزالة هذا الطلاء إذا ما جعلنا الهر يستحم في البترول ؟

فقال نوتش وهو يتكلف الابتسام — خذه من ذيله واقذف به من فوق الحائط . إن ذلك أبسط حل المشكلة . فزمجر ذو الشعر الأحمر قائلا — ماذا ! ؟ لنفرض أنى قذفت بك أنت فوق الحائط ، أيعجبك ذلك ؟ وصاح الصبي — أيها الشيطان .

ثم أمسك بالهر وعدا به . وتبعه بعض الرجال . وظل نوتش وحيداً بين البقية الباقية من السجناء وهم ينظرون إليه شزراً . فصرخ فيهم مستغيثاً — لست أنا وحدى أيها الرفاق .

فقاطعه ذو الشعر الأحمر وهو يلتفت يمنة ويسرة — صه ، لست أنت . إذاً من ؟

فصاح المهرج قائلا — ولكنكم مشتركون جميعاً في المسألة .

فقال الرجل — أيها الكلب . ثم لكمه على وجهه . فتراجع نوتش إلى الخلف ليتلقى ضربة أخرى على عنقه . وجعل يصيح فيهم متوسلا « أيها الرفاق . . » ولكنهم التفوا حوله بعد أن تأكدوا من بعد الحراس عنهم وأسقطوه على الأرض يشبعونه ضرباً . كان كل من رآهم مجتمعين يعتقد أنهم مشتركون في حديث ودى ، ورقد نوتش تحت أقدامهم ، وكنت تسمع من وقت لآخر صوتاً مكتوماً كانوا يركلونه في ضلوعه ، يركلونه في تؤدة وهدوء ، وينتظرون حتى يظهر منه وهو يتلوى على الحشائش كأفعى فرجة تسمح لهم بركله مرة أخرى . واستمر ذلك ثلاث دقائق صاح بعدها أحد الحراس فجأة : لا تبتعدوا كثيراً أيها الشياطين !

ولم ينفض السجناء في الحال ، بل تركوا نوتش يركله الواحد تلو الآخر ، وظل نوتش راقداً بعد أن رحلوا منبطحاً على الأرض وكتفاه يهتزان ، كان يبكي في حرقة ، وظل يسعل ويبصق ، ثم حاول أن ينهض في حذر كأنما يخشى السقوط وقد ارتكن على ذراعه اليسرى ، ولكنه نبح كالكلب المريض ، ثم تخاذلت ساقاه ، وأخيراً تهالك على الأرض . وصاح الرجل ذو الشعر الأحمر مهدداً : إياك أن تتظاهر !

فتحامل نوتش على نفسه وقام على قدميه ، ثم سار يترنح في خطوات ثقيلة ، وأخيراً ارتكن على الحائط ، وقد انحنى ظهره ورأسه ، وكان يسعل باستمرار ، فشاهدت قطرات قاتمة تتساقط من فمه على الأرض وتتناثر على الحائط . وحاول نوتش جاهداً أن يمنع قطرات الدم من أن تلوث الحائط ، فجعل يمسحها بطريقة مضحكة . وإذا بالابتسامة تعود فتشرق على وجوه من يراقبونه ، وإذا بالضحكات تعود فترن في أنحاء الفناء .

ولم أر الهر بعد ذلك ... وأصبح نوتش محط أنظار رفاقه دون أن يكون له مزاحم آخر !

محمد فتحى عبد الوهاب

إعلان

تعلن الإدارة العامة للمعاهد الدينية حاجتها إلى كتاب من الحاصلين على الشهادات الآتية : —

العالمية . العالمية — العالمية مع الأجازات الثلاث الدعوة . القضاء والتدريس — وذلك عن طريق امتحان مسابقة في المواد الآتية : —

إمساك الدفاتر . والحساب . والإملاء والإنشاء والخط بأقسامه الثلاث : نسخ ورقعة . وثلث .

وتقدم الطلبات باسم إدارة المستخدمين على الاستمارة رقم ١٦٧ ع . ح التي يمكن الحصول عليها من مكاتب البريد وعليها الصورة الشمسية بعد التوقيع عليها .

وتقبل الطلبات لغاية آخر يوم الاثنين ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٨ وسيكون الامتحان يوم الأربعاء ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

٥٥٠

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com